



17

أفضل صديقاتى

(مختارات من القصة العالمية)



ترجمة

مفرح كريم



آفاق عالمية

نوفمبر ٢٠٠٢

١٧

افضل صديقاتى

(وقصص اخرى)

ترجمة : مفـسرح كريم

- تصميم الغلاف : محمد بغدادى
- لوحة الغلاف : للفنان موديليانى
(١٨٨٤ - ١٩٢٠)
- التدقيق اللغوى : محمد موسى
- الإشراف الفنى : غريب ندا

آفاق عالمية : سلسلة تعنى بنشر ترجمات مختارة

المراسلات : باسم رئيس التحرير على العنوان التالى :
١٦ أ ش أمين سامى - القصر العينى - رقم بريدى : ١١٥٦١

افضل صديقاتى

قصة : بام هيوستون



يبدأ اليوم النموذجي في المدينة هكذا ، يصطحبني صديقي ليو إلى مطعم لتناول طعام الإفطار ، ثم نعبر كوبرى الخليج إلى حدائق قصر الفنون الجميلة لنجلس على العشب المبتل ونقرأ القصائد الشعرية بصوت عال ونتحدث عن الحب .

تمتلئ النافورات بالبجع الأسود المستورد من سيبيريا ، وإذا تصادف اليوم أن يكون جميلا ، وأن يكون العطلة الأسبوعية ، فإنه يكثر فيه حفلات الزفاف ، وربما كان أغلبها لمواطنين من أصول آسيوية ، يلبس فيه العرسان حللا رمادية جميلة ، وتلبس النساء أثوابا مزينة ، ويكن جميلات إلى درجة تجعل أسنانك تضرس حينما تنظر إليهن .

كانت أبراج المبنى ترتفع عاليا ، وكانت تظهر في ضوء النهار الحاد صفراء أكثر منها برتقالية ، وقد أخبرني ليو كيف تم بناء هذه الأبراج عام ١٩٣٩م ، بمناسبة إقامة معرض سان فرانسسكو الدولي ، وأخبرني أيضا كيف تم في هذا الوقت العصيب جمع أموال من المدينة لتحصين هذه الأبراج جيدا لتبقى إلى الأبد . إن ليو مهندس ، وقد قضى عمره في علاقة حميمة مع كل المباني البديعة في هذه المدينة ، وهو أكبر مني بخمس سنوات فقط ، أما بالنسبة لي ؛ فأنا مصور فوتوغرافي ، وأنا أعمل منذ تخرجي في المجلات .

المنزل الذي بناه ليو لنفسه يشبه منازل الحوريات ، فمعظم

الأثرياء الذين يملكون المنازل الفخمة والذين يعيشون فى بيركلى يقيمون فى هذا الشارع ، أما أنا فأعيش فى تلال أوكلاند فى منزل صغير فى شارع تملؤه الرياح فلا تستطيع أن تقود سيارتك بسرعة تزيد على عشرة أميال فى الساعة ، وقد استأجرته خصيصا ؛ لأن الإعلان جاء فيه (منزل صغير بين الأشجار ، وحوله حديقة وبه مدفأة ، وبالطبع نرحب بالكلاب) وأنا الآن أعيش بدون كلب ، ولكن ليست هذه حالتى الطبيعية ، ولا يمكن أن تدرك حالتى حينما تتملكنى الرغبة فى شراء كلب .

كان يوم سبت دافئ من أيام نوفمبر ، وكان يوجد حوالى خمس حفلات زواج آسيوية فى قصر الفنون الجميلة ، وكان كل حفل عند مدخل قوس من أقواس المبنى ، كما لو كانت هذه الحفلات قد صممت خصيصا لتناسب هذا المبنى الذهبى .

قرأ ليو قصيدة عن مسيرة الملح فى الفجر ، وقرأت له قصيدة عن الحنين فى سيراكوزا ، وكانت هذه هى طريقتنا دائما فى الحديث إلى بعضنا ، وربما كانت هذه أكثر الطرق رومانسية فى هذا القرن ، ما عدا أن ليو كان يحب چينيفير .

كانت چينيفير بوذية ، تخيط الملابس ، وتعيش فى منزل خشبى فى جزيرة بلفدير ، وهى تنسج الأقمشة على نول أحضرته معها من التبت ، وبالرغم من أنها كونت ثروة صغيرة من هذه الأقمشة وصور الزينة والمعلقات الحائطية ، فهى ترفض

استعمال جهاز تكييف الهواء فى سيارتها الأودى ، حتى ولو كانت ستمر بها خلال وادى سكرامنتو . وكانت تقول : إن التكييف واحد من الأشياء التى لا تسمح لنفسها باستعمالها . ومن الغريب أن عدم إحساس چينيفير بوجود ليو لا يشكل له أى شعور بخيبة الأمل ، وأنها لا تنسى - فى كل مرة تقابله - أنها التقت به مرات عديدة من قبل ، فإن ذلك يضاف إلى مجموعة عيوبها الساحرة ، وهو يقول دائما : إن بوذا لديه القدرة على مغفرة الخطيئة .

وكانت چينيفير تحب رجلا يعيش فى نيويورك ؛ قد أخبرها فى خطاب بأن الشىء الوحيد الذى يمكنه من إقامة علاقة معها على بعد ثلاثة آلاف ميل هو أن تكون مريضة بمرض لا يرجى شفاؤه (يمكننى أن أقيم علاقة مع امرأة لم يتبق لها من الحياة سوى ستة أشهر فقط) وقد أرتنى الكلمات كما لو كانت تتأكد من وجودها ، وبالرغم من ذلك فإن شيئا ما فى نبرة صوتها جعلنى أعتقد أنها فخورة .

خلف بحيرة البجع ، كان أحد الأفراح على وشك الانتهاء ، وكان العريس يحاول أن يبدو وقورا ، وفى الوقت نفسه مليئا بالفرح والسعادة ، وكنا نراقب الفرح ، ليو وأنا ، ونراقب قبلة الزواج ، وعندها ضج الحاضرون بالتصفيق ، قال ليو : المغفل !

قلت : نعم ، فأنت لا ترضى أن تستبدل حياته بما فعل فى هذه اللحظة .

قال : أنا لا أعرف شيئا عن حياته .

قلت : أنت تعرف أنه تذكر أن يفعل كل الأشياء التى نسيتها .

قال : أعتقد أنه من الأفضل أن توجه هذه المحاضرة إلى نفسك ، وأشار إلى حيث قفزت العروس بين ذراعى وصيفتها .

قلت : أعتقد أن الحقيقة هى أننى لا أستطيع أن ألومهم ؛ أعنى إذا ما رأيتنى أنزل إلى الشارع بكل أشيائى ، فأنا لست واثقا أننى سوف ألملم نفسى لأواصل المسير .

قال ليو : بالطبع ستفعل ؛ لأنه يجب عليك ؛ ولأنك أمسكت عن الرغبة فى حدوث ذلك ، وهذا ما جعلك مصورا عظيما .

قلت : العظمة شىء جميل ، ولكننى أريد الاتصال ، أريد أن أحس بدفء أنفاس شخص ما على وجهى ؛ قلت ذلك كما لو كنت أتحدى - نحن الاثنين - نعلم أن الأمر ليس تحديا ، وكانت بائعة الزهور تنثر كميات منها فى الهواء .

لقد حضرت عبر المحيط إلى هذه المدينة منذ أكثر من عام، وذلك لأننى قضيت وقتا طويلا تحت مياه نهر كلورادو ، واعتبرت أنها علامة على أن النهر يريدنى أن أبتعد عنه ، ولقد

حصلت على صور كثيرة إلى ما لا نهاية والتى تفقد الإنسان توازنه ويقع فى غرامها ، ولم أعد أشعر أن هناك فرقا بينى وبين الكون .

كان هناك رجل يسمى جوش ، وامرأة تسمى ثيا ، وكنت حائرا بينهما كما لو كنت شيئا طريا داخل ساندوتش ، أتسرب مثل الحجر الجيرى حينما يختفى تحت الضغط ويتحول إلى شىء لا شكل له مثل الزيت .

اعتقدت أنه يوجد نظام ما فى هذه المدينة ؛ فالشوارع المستقيمة ، والأسطح اللامعة ، والزوايا الحادة التى تعيدنى إلى نفسى مرة أخرى ، لفتت انتباهى إلى شىء مختلف ، ربما إلى مكان أكثر أمنا ، وكانت العزلة شيئا مستقيما أيضا ، واعتقدت أنها هى ما أريد ، ولذلك جمعت كل ما يمكننى حمله ، وتركت خلفى كل ما لا يمكننى حمله ؛ بما فى ذلك زوجين من زلاجات التزحلق ، وحجرة كاملة مليئة بأدوات التصوير ، التى أقسمت مرات عديدة أننى لا يمكن أن أعيش بدونها ، توجهت إلى الطريق السريع ذى الحارتين ، وهو أطول الطرق فى أمريكا كما هو مكتوب على اللافتة المعلقة فى الصحراء على جانبيه ، مخترقا ولايتى : أوتاوا ونيفادا إلى أكثر المدن بياضا ولمعانا خلال النهار .

دخلت أولا إلى حانة سكرت فيها ، كما يفعل بعض الناس

من شرب الفودكا ؛ بالطريقة نفسها التى تجعل الإنسان يحس بأن الأشياء تلمع بشكل أجمل ، حتى أجمل من التماعات المياه المحيطة بنا ، و بالطريقة نفسها التى تجعلنا نحس بأن البوابات الذهبية تمتد منا، وتشير بأصابعها إلى المحيط الواسع المتوحش الذى يقع خلفها.

لقد أحببت رائحة الفطير الطازج فى أوكلاند ، وصفير القطار أمام الباب الخارجى ، والرجال الذين يملأ الوشم أجسامهم وهم يفرغون عبوات القرنبيط والبازلاء .

فى الأسابيع الأولى ؛ كنت أسير فى الشوارع لساعات ، مستهلكا أكثر من فيلم فى اليوم ، وكان هذا أكثر مما أستطيع شراءه فى أسبوع ، مصورا كل هذه الحيوات فى تلك البقاع الخطرة وغير الطبيعية ، وكل هذه القصص التى يمكن أن تحكيها الكاميرا .

كنت أسير فى أكثر الأماكن بشاعة ، وكانت الدماء تندفع فى عروقى بقوة مثلما حدث لى عندما رأيت جبال روكى للمرة الأولى منذ سنوات بعيدة ، وفى ليلة ذهبت إلى حى البغاء ، وعند أحد الأركان قابلت شخصا مقعدا على كرسى متحرك ذى عجلات، وعندما رآنى توجه نحوى ، ورمانى برشة من البول ، وكما قلت لأصدقائى الخائفين فى اليوم التالى : هكذا كنت ممسوحا بزيت آلهة المدينة !

قابلت رجلا يدعى جوردون ؛ ومضينا إلى ميناء أوكلاند فى المساء وذلك للفرجة على السفن ذات العشرين دورا ، والتى قلت عنها إنها رابضة مثل كلب الحراسة لحماية المياه من أى محاولة للغزو ، وكان الاسم الحقيقى لجوردون هو ؛ سلفادور ، وقد جاء من طبقة فقيرة من جامعى الفراولة فى الوادى الأوسط ، وغادر الوادى إلى المدينة حينما كان مازال صغيرا مستخدما عربة كانت تخص صاحب المزرعة التى يعمل فيها والده ، واتفق مع عائلة كانت تعمل فى التجارة ، وغير اسمه إلى جوردون ، وغير عمره من خمس عشرة سنة إلى عشرين سنة ، وتقدم بطلب منحة لدراسة أدب أمريكا اللاتينية فى كلية سان فرانسسكو ، وقد حصل على دكتوراه فى الفلسفة قبل أن يصل إلى العشرين ، وكانت أمه تجلس بين الحاضرين عندما فاز بجائزته الأولى فى التدريس ، وحينما التقت عيناهما أومأت إليه بموافقتها ومباركتها لما فعل ، ولكنه لم يجدها فى أى مكان بعد ذلك ! قال وهو يحكى قصته : هل تصدق هذا ؟!

وكان صوته يمتزج بالفخر وخيبة الأمل لدرجة أننى لم أستطع أن أعرف أيهما غير قابل للتصيق ؛ أجاءت أم أنها ذهبت ؟

قال ليو : سوف أنتقل إلى مينابولس .

بدأت احتفالات الزفاف فى الوصول إلى نهايتها ، وكانت الضحكات تصلنا عبر البحيرة ، تذكرت ملصقا رأيته فى هاينز

بألاسكا بالقرب من مكان مغادرة السفن ، وكانت العبارة التالية مكتوبةً عليه : (عندما تغادر هذا المكان ، فإنك سوف تكون قبيحا مرة ثانية) ونظرت فى عينيه لأرى تأثير هذه الجملة ، ولكنه ركز على ديوان الشعر ، قال : ألست أنا أفضل صديق لك ؟

وكانت آخر امرأة أحبها ليو ، والتى كان يدعوها حب حياته، تسمح له برؤيتها مرتين أسبوعيا لمدة ثلاث سنوات ، وكانت طبيبة لأمراض القلب ، تعيش فى منطقة الميناء وكانت تقول إنها تقضى طوال يومها مع القلوب الجريحة ولم تكن تنوى أن تشغل نفسها بأمور غيرها ، وفى بداية السنة الرابعة طلب منها ليو زيادة عدد المرات التى يتواعدان فيها للقاء كل أسبوع ، وفى الحال أنهت علاقتها به .

ذهب ليو إلى الكوبرى بعد ذلك ، وكان ذلك قبل أن يضعوا أكشاك التليفونات هناك ؛ تلك التليفونات التى يمكنك أن تطلب بواسطتها أحدا لتستشيره ، وكان يوما مشمسا ، وكان مد البحر فى طريقه للاختفاء ، محدثا قبعات بيضاء للموج على مسافة ما يسمح النظر داخل المحيط الپاسيفيكى ، وكانت المرأة التى تجلس على العشب بالقرب منا تحدث ليو كيف يشبه شريكها فى العمل بدرجة كبيرة ، وكانت فى صورتها نبرة معينة تجعلنى أعتقد أنها غارقة فى حب شريكها هذا ، أو أنها امرأة مجنونة أو

أنها تزوجت منه هذا الصباح وأنها جاءت إلى قصر الفنون لتنتظر اعتقالها الوشيك. قال ليو حينما همت المرأة بالرحيل : إن الشيء الجميل فى أهالى كاليفورنيا أنهم يعتقدون أنه من الجيد تماما أن يستعرضوا أمراضهم النفسية على مرأى من الجميع طالما يقدمون اعتذاراتهم مسبقا .

نشأ ليو - مثلى - على الشاطئ الشرقى ، واعتاد على تناول الخضراوات المجمدة ، وأطباق فطيرة اللحم ، وهو يشاهد التلفزيون بجوار والديه ، وهما يتناولان كأس المارتينى الثالثة ، والجميع يشاهد برامج مثل (ما هو حظى ؟) و (من أجل أن تقول الحقيقة) ويتحدثون عن أى شيء فى الدنيا ، سألت ليو بعد أن قرأ قصيدة (الزنابير وزهرة الشبت) : هل يمكن أن تقع فى حب أى إنسانة أخرى ما عدا چينيفير ؟

قال : يوجد امرأة جميلة ، وهى زميلة فى العمل اسمها ألديفا.

قلت : اكتب هذا عندك يا ليو ، أعتقد أنه من الحكمة تجنب المرأة التى تستخدم أداة التعريف قبل اسمها .

انتشر رجال البوليس وهم يوزعون منشورات عن كيف نحمى أنفسنا من الوباء الذى يجتاح المدينة فى الخمسة شهور الأخيرة ، وقالوا إن الجريمة تبدأ حينما يرتطم المجرمون بسيارة الضحية من الخلف ، وحينما تخرج الضحية من السيارة لتتبين

حقيقة الأمر ؛ يضربها المجرم - وهو يختار ضحاياه من النساء - على رأسها بشيء ثقيل ، ويتركها بجانب الطريق ، ويسرق سيارتها وينطلق بعيدا .

وقال البوليس إنه من المفروض أن نبقى نوافذ السيارة الزجاجية مغلقة حينما يقترب منا السائقون الآخرون ، وأن نوصد أبواب السيارة جيدا ، ونقول من خلال الزجاج : (أنا خائف ، ولن أخرج ، من فضلك ، اتبعنى إلى أقرب منطقة آمنة) ولا يجب أن نعطى للمجرم أية فرصة لأن يدفعنا إلى الاستسلام لجريمة ثانية .

قال وهو يربت على ذراعى مثل أى شخص حكيم : أنت لا تستطيع أن تفعل هذا ، هل تستطيع ؟

قلت : ماذا تعتقد أنهم يقصدون بقولهم : (جريمة ثانية) ؟

قال : أنت تتجنبين سؤالى ؛ لأنك تعلمين الإجابة عليه جيدا ، وأنت الشخص الوحيد - كما أعلم - الذى يقدم رقبته للذبح بأسرع مما يعترف أنه خائف .

قلت لكى أغير الموضوع : إنه لا يتصرف مثل شخص يريد أن ينجب أطفالا أكثر من أى شىء آخر .

قال : فعلا ، وأنت تتصرفين مثل شخص يريد أن يتزوج من بجعة .

قلت : أنا مستعدة أن أتزوج الآن ، أن ألبس ثوب الزفاف .

قال ليو : لوسى ، أنا جاد فيما أقول ، هل لديك أية فكرة عن عدد العقبات بينك وبين ثوب الزفاف ؟

قلت : لا ، أخبرنى ؟

قال : خمس وثلاثون ، على الأقل ، خمس وثلاثون .

قبل جوردون كنت أواعد دائما النوع القوى الصامت كما أعتقد ، حتى يمكن أن أخترع شيئا ما للوقوع فى أيديهم ، كنا نتكلم جوردون وأنا عن الكلمات ، وعن أنواع الصور التى يمكن تكوينها لدرجة أنك لا تحتاج إليها ، وكان فكرى يسبقنى دائما فيما يجب أن أفكر فيه فى العشر دقائق الأولى .

استغرق الأمر منى أقل من نصف موسم من لعبة البيسبول لأكتشف خطىء العفوى ، كان جوردون غيورا بدرجة شريرة كما لو كان يحوى صاروخا ، وكان يمكن أن يخلق مشكلة من أتفه الأشياء لدرجة أنه طلب منا مغادرة مطعمين فى أسبوع واحد ، وكان يصل إلى ذروة انفعاله سريعا لدرجة أننى أطلب الذهاب إلى مطعم آخر أو مائدة أخرى ، كان جوردون يعتقد أن عازفى البيانو ، والميكانيكيين ، وعمال التنظيف ، وعمال الضرائب ، كانوا جميعا يحاولون أن يناموا معى ! وأنا أخرج لكى أثير فيهم هذه الغريزة ، فقد كنت - كما دعانى ذات مرة - إبريق العسل ، وأنه - كما قال - والرجال الآخرين فى الخليج ، كانوا جميعا من النحل المجنون بتناول العسل .

وحينما أخبرت چينيفير عن كيفية لقائى بجوردون قالت : إن

لديك بضع فرص قليلة لتستمتعى بحياتك قبل أن تصبحى غير مرغوبة .

قلت لها عن الأشياء التى أخاف أن أقولها ل ليو : كيف تتحول النظرة فى عينيه من العاطفة إلى الغضب ، كيف صاح على ونحن فى أحد المحلات بصوت عال ذات مرة ، لدرجة أن مدير المحل سرب إلى ورقة يقول فيها أنه يصلى من أجلى ، وكيف أقضى كل ليلة فى الشارع بينما هو يدير محرك سيارته وأنا أصرخ: من فضلك يا جوردون ، لا تهجرنى !

قالت : مرة واحدة فى حياتى ، قمت بزراعة نسيج حى فى ثديى ، فقط لكى أرضى رجلا ، أما الآن ، فأنا حتى لا أخلع السوتيان قبل النوم .

تحتفظ چينيفير بآنية يوجد بها أوراق كوتشينة ، موضوعة على مائدة الإفطار بين آنية السكر وآنية القهوة ، وتسمى كوتشينة الملائكة ، كانت قد اشترتها من محل اسمه (العصر الحديث) كل ورقة من هذه الكوتشينة مطبوع عليها مثل الكلمات الآتية : الإخوة، الإبداع ، الحب ، ويوجد ملاك صغير يمثل بجسمه وضعا يفترض أن يعبر عن إحدى هذه الكلمات .

فى الصباح التقطت كلمة (توازن) وبها ملاك صغير ممدد فى النصف بحيث يتأرجح بتوازن ، وحينما وصلت چينيفير لتختار كلمتها ، تنهدت فى قرف ، وأعادت الكارت إلى مكانه

فى الآنية مرة ثانية بدون أن تنظر إلى الكلمة المدونة عليه وبدون أن تريه لى ، ومدت يدها لتلتقط آخر .

ذهبت إلى الآنية ونظرت وأعادت الكارت إلى مكانه فى الآنية مرة ثانية بدون أن تنظر إلى الكلمة المدونة عليه وبدون أن تريه لى ، ومدت يدها لتلتقط آخر .

ذهبت إلى الآنية ونظرت إلى الكارت ، فوجدت الكلمة المكتوبة فيه هى ؛ استسلام ، وكان الملاك ينظر إلى أعلى ، ويداه ممتدتان إلى جانبه .

قالت : أنا أكره هذا الكارت ، فى الأسبوع الماضى كان على أن ألقى بعيدا بـ (خضوع) .

أحضرت چينيفير كعكة محلاة بالسكر ، وصندوقًا كبيرا من ورق الكلينيكس ، وقالت : إن الاختيارات لا يمكن أن تكون جيدة أو سيئة ، يوجد فقط الأحداث ، والدروس المستفادة منها ، وصححت لى نطق بعض المقاطع مثل : بو ؛ من بوذا ، وقالت : مثل : بو ؛ فى بودنج .

حينما كنت فى الخامسة والعشرين من عمرى اصطحبت معى إلى البيت حبيبا اسمه چيفرى ، كنت أعتقد أننى أريد الزواج منه ، وكانت تتوافر فيه كل الأشياء التى يريدها والدى فى زوج ابنته ، فكانت لديه شهادة ماچستير فى إدارة الأعمال من هارفارد ، وكان يلبس أفخر الملابس ، وكان يلعب الجولف بمستوى الرجال فقط ، وهو مستوى راق .

قضينا الأسبوع بأكمله نشرب النبيذ ، ونأكل الفطائر التى أرسلتها لنا أم چيفرى من جنوب غرب فرنسا ، جلس چيفرى إلى أبى الذى أخرج إليه الميداليات التى حصل عليها فى لعبة التنس ، وكان يعزف على البيانو بينما أمى تغنى بصوتها العذب ، وانتظرت حتى خلوت بأبى منفردين وقلت : بابا ، ما رأيك فى چيفرى ؟

قال : لوسى أنا لم أعجب أبدا بأى واحد من أصدقائك ، ولا أعتقد أننى سوف أعجب بأى منهم ، ولذا ، لماذا لا توفرين على كل منا الإحراج ولا تسألينى بعد ذلك مرة ثانية ؟ وبعد ذلك انصرفت لمواعدة بعض الميكانيكية ومرشدى السفن فى النهر ، واحتفظت أمى بصورة چيفرى فوق رف المائدة حتى ماتت .

كانت المرة الأولى التى يهاجمنى شخص بقصد السرقة فى المدينة ، حينما سهرت وحدى فى مسرح كاسترو ، وكان مسرحا قديما فخماً له سقف ضخم فى مدخله يضىء السماء مثل الكرنڤال ، ولا يوجد لهذا السقف مثيل غلا فى الكاتدرائيات الأسبانية ، وتنسدل منه ستائر ثقيلة حمراء من القطيفة محلاة بخيوط تلمع بالذهب ، كما يوجد عازف بيانو يعزف موسيقى جميلة حية ، ولكنه يختفى فى الأرض حينما يبدأ العرض .

وأنا أحب أن أتسكع هناك بعد انتهاء العرض للاستمتاع بالنجوم الصناعية فى السقف ، وفى يوم الثلاثاء ذلك ، كنت

آخر من خرج من المسرح إلى الليل البارد الخالى من المارة ، وحينما وضعت رجلى على الرصيف ، اقترب رجل منى وقال : هل معك بعض الفكة ؟ والحقيقة أننى لم يكن معى فكة ، فقد بحثت جيدا فى كيس النقود عن أى فكة للدخول إلى المسرح ، وسامحنى الرجل الجالس خلف الزجاج فى مبلغ ثلاثة وثلاثين سنتا ناقصة ، قلت : إننى آسفة .

وتوجهت إلى مكان وقوف السيارات ، كنت أحس به خلفى ، ولكننى لم أستدر إلى الخلف ، كان يجب أن أخرج مفاتيحى قبل أن أخرج من المسرح ، وكان لا يجب على البقاء طويلا ، وقبل أن أصل إلى سيارتى بحوالى عشر خطوات ، شعرت بشىء صلب فى وسط ضلوعى ، وقال الرجل : أراهن أنك تشعرين بإحساس مختلف إذا كنت أحمل مسدسا فى يدى . قلت : ربما أشعر باختلاف ! واستدرت بقوة ربما أكثر مما كنت أنوى ، وأكملت كلامى : ولكننى ما زلت لا أملك أى نقود .

تردد قليلا وغير من زاوية جسده قليلا إلى الخلف ، وسقطت نظراته على يده التى كانت تمسك شيئا ما داخل جيب الجاكيت ، وذكرنى ذلك بموقف حدث لى ذات مرة ، وهو أننى واجهت إحدى الحيوانات المفترسة ، وكان معها شبلها ، وكيف وقفنا قبالة بعضنا فى حالة تحفز ، وكيف نظرت إلى شبلها بالطريقة نفسها ، مما أعطانى الفرصة لأن أتركها تعلم أننا لسنا

فى حاجة لأن يقتل أحدنا الآخر ، ويمكن لكلينا أن نمضى فى طريقنا ، قلت : انظر ، لقد مررت بيوم عصيب .

وبينما كنت أتكلم كنت أفتش فى كيس نقودى ، وجذبت مجموعة مفاتيحى ، وأكملت كلامى : ويجب عليك أن تتركنى أركب سيارتى وأمضى إلى البيت .

وبينما كان يفكر فى هذا العرض ، اتخذت خطواتى إلى السيارة وركبت ، ولم أنظر فى المرآة خلفى حتى أصبحت فى الطريق .

وفى منتصف الظهيرة شاهدت أنا وليو عددا من الزيجات وركبنا السيارة إلى أحد المطاعم ، حيث شربنا المارجريتا وأكلنا بشهية مفتوحة ونظرنا إلى جزيرة الملاك وعلى المدينة التى ترتفع كالشبح خارجة من الخليج الأزرق - الأخضر ، كنا نشاهد ميناء العبارات يفرغ أهل الأحياء المجاورة ، ثم يمتلئ بهم مرة ثانية ، من أجل الرحلة المزدوجة من المدينة وإليها ، كنا غيورين من قمصانهم ، ومن أحذيتهم البنية ، وكيف تبدو ملابسهم كما لو كانت انعكاسا للتوازن فى حيواتهم .

كان الضباب يتكثف فوق وأسفل الميناء ، وكانت المدينة تتحرك داخلة وخارجة منه ، تتلألأ فى لحظة ، ثم تتحول إلى شكل حالم رمادى مثل الشبح فى لحظة أخرى ، ثم تختفى مثل فقاعة من الأفكار ، مثل فكرة جيدة لشخص ما .

قلت : كنت أمشى وحدى الليلة الماضية خارجة من محل للتليغراف ، وكنت فى حالة نفسية كئيبة ، فقد حدثت مشاجرة بينى وبين جوردون حول چون لينون ، سأل ليو : كان معه أم ضده ؟

قلت : ضده ، ولكن ليس هذا هو المهم ، كنت عابسة ، وربما بكيت قليلا ، وأسرعت فى سيرى ، وارتطمت بهذا الشخص المشرد الشحاذ الذى قال : أنا لا أريد منك أية نقود ، أنا - فقط - أريد منك أن تبتسمى .

قال ليو : وهل فعلت ؟

قلت : فعلت ، لم أبتسم فقط ، ولكنى ضحكت أيضا ، ثم عدت وأعطيته كل ما أمتلك فى حافظتى ، وكان ذلك ثمانية عشر دولارا .

قال ليو : أنا أحبك .

وأخذ كلتا يدى فى يديه وأضاف : أنا أعنى ذلك بطريقة جميلة .

حينما كنت فى سن الرابعة مع والدى فى بالم بيتش ، فى فلوريدا ، جذبت فازة يقدر ثمنها بسبعمائة جنيه من فوق قاعدتها لتسقط فوق قدمى وتسحق عظام فخذىّ ، وكل الفازات الأخرى كانت مزينة على هيئة حيوانات ، وكانت هذه الفازة التى أسقطتها - من وجهة نظرى - تبدو فارغة ، وحينما سألونى عن السبب

الذى جعلنى أحاول أن أشب لفوق لأجذب الفازة ، قلت : إننى ظننت أن بها سمكا بداخلها ، وإننى أردت أن أنظر إليها ، ولم أستطع أن أبين ما إذا كان سمكا حقيقيا أم زخرفة على هيئة سمك ، كانت الفازة فارغة بالطبع وتنتظر الترميم ، وكان ذلك السبب فى سقوطها على ، وأسرع والدى لدفعها بقوة خارقة وجذبنى إليه - وكنت أصرخ كما لو أننى قتلت - واحتضننى حتى جاءت سيارة الإسعاف ، وكانت الأسابيع الستة التالية أفضل أوقات طفولتى ، كنت فى المستشفى طوال الوقت ، محاطة بالأطباء الذين يحملون لى الهدايا ، والممرضات اللائى يقرأن لى القصص ، وحاملوا الحلوى الذين يحضرون إلى حجرتى ليقدموا ألعابهم ، وكان والداى حينما يحضران لزيارتى سعداء لرؤيتى دائما هادئة ، وقضيت السنوات الباقية من طفولتى مغرمة بالحوادث والأمراض التى كنت آمل أن تعيدنى مرة ثانية إلى المستشفى .

طلب منى جوردون ذات يوم فى الشهر الماضى أن نذهب فى مخيم على الشاطئ ، ليثبت لى - كما قال - أنه يهتم بى وبحياتى ، وقال : لم أستطع النوم خارجا ليلة واحدة منذ أن جئت إلى المدينة ، ولابد أننى أشتاق إلى الأرض المستقرة تحتى ، وأننى أشتاق إلى رائحة الخيمة فى المطر . واستعار جوردون الخيمة ، واستخرج الإذن وفرغ نفسه للإجازة ، ودرس

الخرائط ، وكنت أقوم بالتدريس السبت ، وسوف يلتقطنى فى الساعة الرابعة بعد انتهاء العمل ، وسوف يكون لدينا وقت كاف للسفر بالسيارة إلى محطة رايز ، ونسير حوالى الساعة إلى المعسكر الأول ، وسوف يستغرق منا الأمر يوما آخر لنصل إلى الشاطئ ، عند منطقة الفنار، ونعود إلى السيارة فى أسرع وقت ، وتعلمت فى هذا الوقت كيف نقاوم المشاكل المتوقعة ، وانتظرت فى السيارة مع جوردون فى هذا الصباح ، حينما عبر أول رجل ، وبدا صغيرا جدا بالنسبة لى ، ثم عبر رجل آخر بدا عجوزا جدا .

انطلق جوردون بالسيارة على طول الساحل بدون كلام ، ومر بمدن : ستنسون ، وبوليناس ، ودوج تاون ، وليما ، وكانت طيور مالك الحزين البيضاء تضع رءوسها بين أرجلها على الشاطئ .

يمكن أن أحكى لك الكذبة التى حكيتها لجوردون ؛ وهى حول أن أى واحد أفضل من لا أحد ، وسوف تدرك بالضبط لماذا بقيت خلف هذا المستكشف إلا إذا كنت محظوظا . سألنى ليو : هل أخبرتك من قبل عن الوقت الذى هوجمت فيه ؟ وكنا كلانا نعلم ما حدث ، ولكن هذه كانت قصته المفضلة .

قلت : سوف أحب أن أستمع إلى هذه الحكاية ، إذا كنت ستحكيها مرة أخرى .

كان ليو يعيش فى مدينة بين الشاطئ الشمالى وجسر البحر ، وذلك قبل أن يبنى منزله فى شارع الطاووس ، هوجم ذات ليلة ، وهو ينزل من سيارته باحثا عن مفاتيح منزله ، كان الرجل المهاجم مسلحا ببندقية ، وتسلل إليه من الخلف ، وكان كل ما يحمله ليو ثلاثة عشر دولارا ، وحينما قدم النقود ، ظن أن الرجل سوف يقتله فى مكانه ، وقال الرجل : أنت معك كارت لصرف النقود ، دعنا نجد آلة الصرف .

قلت حينما وصل إلى هذه النقطة : هاى ، معنى هذا أنك ذهبت معه للصرف أيضا ! وكان الجزء الذى لا يعجبنى فى هذه القصة هو كيف أخذ الرجل نظارة ليو ، وقال : إنه سوف يقود السيارة ، ولكنه لم يكن يعرف عصا نقل الحركة ، واحترقت منه دواسة البنزين وخرج منها دخان طوال الطريق .

قال الرجل : اسمى بيل .

وفكر ليو أنهم أصبحوا أصدقاء لدرجة تسمح له بتعديل وإصلاح دواسة البنزين وعصا نقل الحركة لينقذ ما تبقى من سيارته ، وحاول ليو أن ينقذ صندوق التروس بتعديل وضع عصا النقل وما إن وصل أمام كتفى بيل ، حتى اشتم رائحة دماء تحت جاكيت بيل وعرف أنه مصاب بطلق نارى ، وانطلقت السيارة على هذا الوضع ، وكانت عينا بيل على الطريق ويداه على عجلة القيادة ، وكان ليو يشغل دواسة البنزين وناقل الحركة حسب

إحساسه ، وعند ماكينة صرف النقود بحث ليو بعينيه عن أى أحد يساعده ، ولكنه لم يجد أى عينين تنظران إلى عينيه ، وكان بيل يحمل بندقيته قريبا من جنبه ، كان ليو يظن أن الجميع يعتقدون أنهما معا ، وخفقت ضحكة بداخله ، وكان قد أخبر بيل - كذبا - أنه لا يملك فى الماكينة سوى مائة دولار ، وحينما ضغط الأزرار تدفقت النقود من الماكينة ، وقادا السيارة عائدين إلى منزل ليو ، وحينما وصلا هناك ، شكر بيل ليو ، وصافحه ، وسأله أن يسدى له معرفا آخر قبل أن يرحل ، قال بيل : سوف أعطيك رقم تليفون ، فصديقتى فى سكرامنتو وأنا أريد منك الاتصال بها وإخبارها أننى أنجزت الأمر على أحسن وجه .

قال ليو : مؤكد ، وأخذ منه الورقة .

قال بيل : أريد منك أن تقسم بالله أنك ستفعل .

قال ليو : مؤكد ، سوف أتصل بها .

وضع بيل طرف البندقية فى بطن ليو قائلا : قلها أيها الجبان ، قل أقسم بالله .

قال ليو : أقسم بالله .

وانصرف بيل ، وحينما عاد ليو إلى منزله ، اتصل بالبوليس ، وقالت المرأة على الطرف الآخر من التليفون : ليس هناك الكثير الذى يمكن أن نفعله ، يمكن أن نأتى ونرفع البصمات من عربتك ، ولكن هذا سوف يدفعنا إلى دوامة من

البحث . بعد ساعتين بحث ليو فى دليل التليفونات ، واتصل بأحد القساوسة الكاثوليك ، قال القسيس : لا ، ليس عليك أن تتصل بصديقته ، أنت أقسمت بالله تحت ظروف بالغة القسوة ، وقد وضعك فيها رجل كافر ، عندما استمعت للقصة أول مرة قلت : لا أظن أن هذه الإجابة صائبة ، وأقولها مرة ثانية اليوم .

حينما ناقشنا فكرة الكفر أول مرة ، وكيف أن القسم بالله ملزم للجميع ، ولكننى اليوم أفكر فى الصديقة الموجودة فى سكرامنتو ، وليس فى ليو ولا بيل ، وفى حبيبها المصاب الذى ينزف ، وفى السطو بالسلاح ، وعلى الرغم من ذلك فإنه مازال يفكر فيها ، وكنت أتعجب بشأنها ، وما الذى يجعلها تعاشر إنسانا يتخذ الهرب من القانون وسيلته لكسب عيشه ، وما إذا كان قد توجه إليها فى الليلة نفسها ، وإذا ما كانت تقف بجواره فى المطبخ لتضمد جراحه ، كنت أتعجب كيف ترى نفسها كجزء من القصة ، وإلى أى مدى سوف تمضى ، وكيف ستنتهى .

قال جوردون فى ليلتنا معا على الشاطئ : أنا خائف جدا لدرجة أحس معها أننى ضعيف وبلا قيمة ، لدرجة أننى أتقرب من الناس ، ثم أحاول أن أحطم قلوبهم ، ولذلك فإنهم يصبحون ضعفاء وبلا قيمة مثلى .

انتهت العلاقة بينى وبين جوردون فى بار فى ميدان چاك

لندن ذات ليلة حينما كنا نشاهد عرضا تلفزيونيا ، وكانت آخر سنة لچون مونتانا فى سان فرانسسكو ، كانت المباراة الأخيرة فى الموسم ، قال شاب يجلس بجانبى : لا تقولى إنك من المعجبات باللعب .

قلت : إنه عمل صعب . ولم أرفع عينى عن جهاز التليفزيون وللمرة المائة - تقريباً - تلك الليلة تبتعد الكاميرا عن الملعب لتنقل صورة چينيفر مونتانا وهى تضع يدا حانية جميلة حول كل من بنتيها الجميلتين الشقراوين ، قلت : هل تظن أن چون مونتانا هو اللاعب الوحيد فى كل أمريكا الذى لديه مثل هذه الزوجة ؟ ضحك الشاب الجالس بجانبى ، قال جوردون : هذا ما لا يعجبنى فيكم أيها المولعون بالرياضة ، أنتم تخلقون أبطالا مثل مونتانا هكذا بكل بساطة ، قلت : ليس لدى أى شىء ضد مونتانا ، وأنا أعتقد أنه يقذف الكرة كالملاك وأنا ببساطة أفضل رؤيته على رؤية زوجته.

قال جوردون : لقد رأيت الذى تفضلين رؤيته .

وذهب إلى السيارة وفتح الباب ودخل وصفق الباب بعنف وراءه ، لحقت به وقلت : جوردون ، إننى حتى لا أعرف شكل هذا الرجل .

كان القمر بدرا فوق أجزاء أوكلاند ، وعرفت من الوجه الذى نظرت إليه أن ما قلته لم يؤثر فيه بأى درجة ، كان جوردون

يحب أن يقود السيارة خلال الشوارع الضيقة حينما يشعر باكتئاب ، وضغط على الفرامل أمام منزلى ونزلت من السيارة ، وتحركت ناحية المدخل المظلم ، قال : ألن تدعينى للدخول ؟

وتذكرت الشهور المليئة بليال مثل هذه ، خصوصا تلك الليلة التى رجوته فيها أن يبقى ، قلت من فوق كتفى : أريد أن تتخذ قرارك الخاص ، فأدار السيارة فى ثانية ، وزعق صوت المحرك ، وانطلق بسرعة فائقة .

فى البداية ، كانت الرسائل تصل مسجلة إلى بابى ، ثم حدث بعد ذلك أن أجد إطارات سيارتى مشقوقة طوليا ، وأجد محلولا غريبا فى خزان الغاز ، وأجد ملفا عن ديلان فى دواسة سيارتى ، ويوماً فتحت مظروفا كنت قد أرسلته إلى إحدى المجلات لأجد الشيك الذى أرسلته ممزقا إلى أجزاء كثيرة ، وموضوعا مرة ثانية فى المظروف ، ومعاد بالتالى إلى صندوقى البريدى ، قلت : ما أتخيله أن أعود إلى شقتى ذات ليلة لأجد أن جوردون قد تسلل من الممشى الجانبى وفى يده مسدس ويكون تفكيرى هو : هل تظن أن هذا هو الشىء المنطقى لتفعله ؟

قال ليو : لست أدرى لماذا تكونين بمثل هذه القسوة عليه ؟ ألا يمكنك أن تخبرى البوليس أو أى إنسان بذلك ؟

قلت : هذه المدينة لا تصلح أن تعيش فيها بدون كلب حراسة .

وضع ليو يده حولى قائلا : يمكننى أن أقول أنه يظن أن من الواجب عليه ذلك .

قلت : هل تظن أحيانا أنك تستطيع أن تختفى مثل المدينة ؟

قال ليو : أنا أستطيع ، وأضاف : أنا أفعل ذلك ، وما أريده أكثر أن أبقى حينما أريد .

بدا الميناء فى الجهة المواجهة لنا ، وجلسنا هادئين حتى انتهت صفارات السفن والقوارب التى تريد الإقلاع .

قلت لليو : ألا تخاف أبدا من أن توجد أشياء كثيرة تحتاجها تدور فى دوامة بداخلك لدرجة أنها سوف تتغلب عليك ، تخنقك ، تضغط على رقبتك حتى تموت ؟

قال ليو : لا أظن ذلك .

قلت : لا أعنى الجنس ، أو حتى الحب ، كل ما هنالك أنها تضغط عليك ، ولا تترك لك فرصة للإفلات ، حتى لو غيرت كل شىء أيضا ، فإن ذلك سيأتى متأخرا جدا .

ظل ليو ينظر إلى المدينة التى ظهرت من خلف الضباب مرة ثانية ، وقال : حتى بضعة سنين قليلة مضت ، اعتدت أن أقتحم منازل الغرباء حوالى كل ستة أشهر ، هل هذا شىء مثل الذى تعنينه ؟

قلت : تماما .

ونزلت حزمة من الضباب أسرع من مجموعات الضباب

الأخرى ، وغطت المدينة بما فيها الشقة التى يقيم فيها جوردون الآن .

حينما كنت فى سن الثامنة عشرة ، قابلت والدى فى فيونيكس بأريزونا ، لأشاهد مباراة أقيمت فى العيد ، وركبت سيارتى من أوهايو ، وكان عليهم المجىء من بنسلفانيا ، وركبنا ثلاثتنا - لأول مرة - فى سيارتى ، كان والدى يريد منى أن أقود السيارة من خلال الأحياء الغنية ، كان قد شرب كثيرا خلال النهار على غير عادته ، هو وأمى ، وصمم على أنه يريد أن يرى أكثر النوافير ارتفاعا والتى تقذف حوالى ثلاثمائة جالون من المياه كل دقيقة إلى الهواء الصحراوى الجاف ، وكنا نتفرج على إحدى النافورات عندما جذبنى رجل شرطة قائلا : آسف لإزعاجك ، ولكننى أتعقبك منذ حوالى أربع أو خمس دقائق ، ويجب على أن أخبرك ، ولكننى فى الحقيقة لا أعرف من أين أبدأ .

كان اسم الشرطى على الكارت الخاص به (مارتن چنكينز) وأطلق والدى تنهيدة علقت فى فضاء السيارة مثل الضباب ، قال الشرطى : حسنا أولا ، أنت عبرت علامتين للوقوف لا علامة واحدة دون أن تتوقفى بطريقة هادئة وبسيطة وقفة كاملة ، وانعطفت يمينا إلى الحارة المتوسطة فى الطريق .

قال أبى : يا إلهى !

وأكمل الضابط چنكينز : وأنت خرجت من الصف دون مبرر ، ولم تعطِ إشارة بذلك .

قال أبى فى الهواء : هل تسمع ذلك ؟

قال الشرطى : اعطينى رخصتك وتسجيل السيارة .

قلت : لقد تركت رخصى فى أوهايو .

ساد الصمت العربة ، قال الضابط چنكينز : اعطينى دقيقة إذن .

قال أبى : ما لا أعرفه هو كيف لشخص ليس لديه أى حس بالمسئولية أن يحصل على رخصة قيادة فى هذا البلد ، وضغط على زرار تشغيل مروحة الهواء ، ثم ضغط على زرار إيقافها ، ثم فعل ذلك مرة ثانية ، تشغيل ثم إيقاف ، وأضاف : وأنا أتعجب إذا ما كان يجب أن يسمح لها بالخروج من المنزل صباحا .

قالت أمى : لماذا لا تقول ذلك يا روبرت ؟ قل ما تريد ، قل: يا ابنتى أنا أكرهك ، وبدأ صوتها يرتعش ، وأضافت : كل واحد يرى ذلك ، وكل واحد يعرف ذلك ، لماذا لا تقولها بصوت عال ؟

كان الضابط يقف خارج نافذة السيارة ، واستمرت والدتى : دعنا نسمعها ، أيها الضابط ، أنا أكره ابنتى .

ألقى الضابط نظرة على المقعد الخلفى وقال : طبقا للمعلومات التى تلقيتها يا مس أورووركى أنت فى حاجة إلى أستعمال عدسات لاصقة للعينين .

قلت : هذا صحيح .

وسأل الضابط : وأنت تستعملين العدسات الآن ؟

وكان صوته ممتزجا بشيء من الأمل ، ولكننى قلت : لا يا سيدى .

قال والدى : إنها حتى لا تستطيع أن تكذب بخصوص شيء واحد صغير .

قالت أمى : يا ابنتى أتمنى أنك لم تولدى أبدا .

قال الضابط : يا مس أوروركى ، سوف أكتفى اليوم بإعطائك إنذارا .

قلت : شكرا جزيلا لك .

قال : أنا أكره أن أقول ذلك ، ولكن لا يوجد شيء يمكن أن أقوله لك يمكن أن يبدو عقابا . ومد يده ليصافحنى ، وقال : فلتقودى السيارة بحذر الآن ، ثم مضى فى سبيله .

عندما انتهى الاحتفال الكبير ، اتخذنا طريقنا لنحضر احتفال ليلة رأس السنة الذى يقيمه رجل تعرفه أمى من أعضاء نادى النبيذ ، ولم يكن أبى سعيدا بذلك ، ولكنه ظل صامتا ، كنت أحب مشاهدة مباريات الكرة فى التلفزيون مثلما أفعل كل عام منذ طفولتى ، ولكن الرجال الذين يحضرون الحفل كانوا يعرضون أفلاما منزلية بعد الأخرى ، وحينما أراد أبى أن يدخن سيجارة ، تحرك بسرعة إلى الخارج بأسرع مما رأيته يتحرك من

قبل ، وكنت صغيرة على أن يأخذنى أحد إلى المخزن ، وكبيرة على أن أفرض نفسى على أحد ، ولذلك ، بعد حوالى نصف ساعة من التجاهل ذهبت إلى الخارج لأنضم إلى أبى ، وكانت أضواء الاحتفالات تلمع فى كل بقعة أسفل منا فى الظلام ،.

قال أبى : اسمعى يا لوسى ، حينما تصلين إلى السن التى أنا فيها ، لا تمضى ليلة رأس السنة فى منزل لا يمكنك التدخين فيه .

قلت : أوكيه .

قال كما اعتاد دائما : أمك

قلت : أعرف حتى لو لم أكن أعرف

قال : إن هذه العائلة لا تعرف كيف تتبادل الحب بطريقة صحيحة ، ولكن . . وتوقف عن الكلام عندما التمعت السماء بانفجارات ملونة ، ومظلات من اللون الأحمر والأصفر والأخضر ، لم أكن قد رأيت ألعابا نارية قبل ذلك من القمة ، ونادى علينا مضيفنا من الباب قائلا : تعالوا نتبادل نخب العام الجديد

وقد أردت أكثر من أى شىء أن يكمل والدى جملته ، ولكنه أطفأ سيجارته ونهض وسار إلى الداخل .

أرتفع الضباب بما يكفى لنا لرؤية المكان وحيث يجب أن تتواجد الشمس ، وأنها أصبحت أكثر بريقا عند جولدن جيت ،

وأخذنا – ليو وأنا – القارب الصغير إلى حيث يوجد الضياء ، وهو الطريق الذى يجب أن يذهب إليه الزوجان بعد الظهر يوم السبت ؛ كان قاربا سنجابيا ، مصمما للحركات السريعة فى الرياح الخفيفة ، وقبل أن نعبر الظل المظلم للكوبرى بحوالى مائة ياردة سلمنى ليو الدفة ، وكنت مازلت أحاول الإحساس بها حينما نظر ليو من فوق كتفيه ليقول :

يبدو أننا فى سباق

ونظرت أنا أيضا ، وكان قارب يتجه نحونا ، أكبر حجما من قاربنا بحوالى مرتين

قالت : ربما يجب عليك الآن أن تمسك الدفة إذن .

قال : إنك تتعاملين معها جيدا ، فقط اعملى عقلك فيما يجب عليك أن تقومى به أول ما فكرت فيه كان عن ليو وهو يجلس على قمة الكوبرى ليدير فى رأسه الأرقام ، ثم قصة كان جوردون قد حكاها لى عن شخصين التقيا هناك على ممر الكوبرى ، واكتشفا أن كليهما قد نجا من قفزة سابقة ، ثم تركت عقلى يعبر كل هذه التلال والأمواج المتكسرة ، ويعبر فوق الميناء وكل ما يتعلق بالملاحة ، إلى بعض الأماكن البعيدة ، حيث تبتلع الأمواج حدود الشاطئ ، وإلى هاواى التى تقف بينى وبين الأبدية ، يمكننى أن أسمع أصوات صفارات المراكب الكبيرة خلفنا ، وأطلقت ذهنى بشكل أقوى إلى الكون الذى

لا يوجد فيه شئ إلا المياه الزرقاء العميقة ، قال ليو : أنت بعثت الخوف فى نفسه ، إنه يأتى حولنا

وانطلق القارب الكبير مبتعدا عنا ، عائدا إلى الميناء ، مثل ظل الكوبرى العملاق ، قفز ليو إلى أعلى وقدم كأسا أمريكية كتهنئة ، وكانت ترتفع راية برتقالية وترفرف فى الهواء ، وتوجهنا إلى عمق البحر ، وسرنا مسافة كافية لتزداد ضربات الأمواج العاتية لتجعلنا نشعر بالغثيان ، وأخذ ليو أخيرا الدفة منى وأدار الدفة إلى الجهة الأخرى ، كان الجو صحوا ومشمسا ، وكانت معنوياتى مرتفعة بعد سباق القوارب لدرجة أننى يمكن أن أقول لنفسى إنه لا يوجد شىء يمكن أن أخشاه ، مثلما نذهب إلى السينما ونتوه فى أجواء القصة المعروضة حتى أننا عندما نخرج من المسرح لا نتذكر أى شىء على الإطلاق يتعلق بحياتنا ، ويجب أن ننسى - على سبيل المثال - أننا نعيش فى مدينة ، حيث لدى الناس خيارات كثيرة عن طريقة إلقائهم كلماتهم ، أو أن القليل منهم مستعد أن يبكى دما فى سيارتك مقابل مائة دولار ، كما يجب أن ننسى الوحدة المرعبة ونحن مازلنا فى الثانية والثلاثين ، أو أن رجلا مجنونا ربما ينتظر حاملا مسدسه فى الانتظار ، أو أن كل الناس الذين عرفتهم - بدون استثناء - يحملون قلوبا تدور حول أناس آخرين لا يبادلونهم الحب .

قلت : أنا خائفة :

وهذه المرة التقت عيوننا ، كان الضباب معلقا فوق منتصف الخليج كما لو كان إناء كبيرا من الشوربة الساخنة ونحن على وشك الدخول فيه قال ليو : لا أستطيع مساعدتك

وأدار عينيه على الشبورة المعلقة فى الهواء

عندما كنت فى الثانية من عمرى أخذنا والدى إلى الشاطئ فى نيوچيرسى ، وحملنى إلى الشاطئ حتى وصلت المياه إلى صدره ، ثم ألقى بى فى الماء مثل كلب ، ليرى - كما أعتقد - إذا كنت سأغرق أم أطفو ، أما والدتى التى جاءت من جبال روكى ، حيث كانت المياه باردة جدا ولا تصلح للسباحة ، والتى قيل لها دائما منذ ولادتها أن لا تبل وجهها أبدا ، (فهى تستحم فقط ، ولا تأخذ دشا أبدا) أصابتها حالة هسترية على حافة الماء حتى أن رجال الإنقاذ من مكانين مختلفين هرعوا لإنقاذى . لم تكن هناك حاجة ، على أية حال ، فقد جاهدت قدر ما أستطيع لكى أبقى طافية على سطح الماء ، ففى الوقت الذى وصل إلينا فيه رجال الإنقاذ ، كان والدى قد رفعنى عاليا فوق كتفيه .

طلبت من ليو أن نأخذ طريق قصر الفنون الجميلة ونحن فى سبيلنا للعودة ، ولذلك كان طريق كوبرى ريتشموند هو الأسرع ، وكان الضباب قد تحرك إلى هناك أيضا ، وكانت العرائس يخشين على تسريحة شعورهن ، بينما كان العرسان

يساعدونهن على ركوب العربات السوداء التى سوف تقلهم إلى حيث شهر العسل فى فندق الفصول الأربعة ، أو إلى المطار ليلحقوا بالطائرات إلى طوكيو أو ريو .

بقى ليو فى السيارة ، ونزلت أنا أتمشى ، وكان الممشى مطرزا ببتلات الزهور والأرز الصناعى الذى يتحلل فى المطر ، حتى البجعات كن يتمايلن عائمات ، وكان الريش الداخلى يتماوج بشكل مؤثر ، ورقباتهن الطويلات محنيات قليلا نحو بعضهن ، التقطت صورة للبجع ، وصورة لبتلات الزهور المتناثرة على طول الممشى ، وخطوت تحت أطول الأعمدة وانحنيت لزوجى المتخيل ، وأخذ بيدى ، واستدرنا إلى المدير الذى انحنى لنا وانحنينا له مرة ثانية .

قلت مرة ثانية : أنا خائفة .

ولكنها خرجت هذه المرة بشكل أقوى ، تقريبا كالغناء ، كما لو كانت الخطوة الأولى - فى الخمس والخمسين خطوة أو الألف - تجاه شىء كالحياة الحقيقية ، الخطوة الحقيقية الأولى تجاه شىء سوف يبقى .

* * *



انقذوا الحاصد

قصة : أليس مونرو

كانت إيف تلاعب أحفادها اللعبة نفسها التى كانت تمارسها مع أمهم - صوفى - فى العربة الداكنة الطويلة نفسها عندما كانت صوفى فتاة صغيرة ، وكانت اللعبة حينئذ مثيرة ، أما الآن فهى غريبة ، كان أولاد صوفى يجلسون فى المقعد الخلفى ، ديزى كانت تناهز الثالثة ولم تكن تفهم كثيرا مما يحدث ، أما فيليب فكان فى السابعة ، وكان عليه متابعة العربة التى يجب أن يتبعوها ، خلال الطريق الذى يمتلئ بالمسافرين الغرباء وهم فى طريقهم إلى مقر قيادتهم السرى - مخبأ الغزاة ، وكان الغرباء يتلمسون طريقهم من الإشارات التى يرسلها إليهم سائقو السيارات الأخرى ، أو أى شخص يقف أمام صندوق البريد ، أو حتى من سائقى سيارات الحرث فى الحقول ، فقد وصل الكثير من الغرباء إلى الأرض وتم نقلهم - وكانت هذه كلمات فيليب - ولذلك يمكن أن يكون أى إنسان واحدا منهم ، الناس الذاهبون إلى محطات الوقود أو المرأة التى تدفع أمامها عربة طفل ، أو حتى الأطفال الذين يركبون هذه العربات الصغيرة .

وتجرأت إيف على أن تقول أنهم يجب عليهم أن يتحولوا من متابعة عربة معينة لمتابعة عربة أخرى ؛ لأن بعض هذه العربات مجرد شراك خداعية ، لا تؤدى إلى الطريق الخفى أبدا ولكنها تضلل من يتبعها .

قال فيليب : كلا ليس الأمر كذلك ، ولكنهم يمتصون

الناس من سيارتهم إلى سيارات أخرى ، فى حالة إذا تتبعهم أحد ، إنهم يتلبسون أجساد أناس مختلفين طوال الوقت ، والناس لا يدركون أبدا ماذا فى دواخلهم ؟!

قالت إيف : حقا ؟! إذن كيف نعرف أى سيارة يجب علينا أن نتبعها ؟

قال فيليب : عن طريق الكود الموجود على لوحة البيانات .

وجلس وقد مال بجسده إلى الأمام بأقصى ما يستطيع وقد ثبت حزام الأمان ، وكان يصر على أسنانه أثناء تركيزه الحاد مطلقا صفيرا خفيفا وهو يحذرها .

قال : حاسبى هنا ، أنا أعتقد أنك مضطرة للالتفاف ، نعم ، نعم ، أعتقد أن الأمر كذلك . كانوا يتتبعون مازدا بيضاء ، وكان من الواضح أنهم يسيرون إثر شاحنة بيك أب خضراء ماركة فورد ، هتفت إيف:أنت متأكد !

- متأكد .

وكان ما خططت له إيف هو الالتفاف حول مركز القيادة إلى المحل الذى يبيع الآيس كريم ، ولكن فيليب كان يراقب الطريق بشكل دقيق لدرجة أنه أصبح من الصعب السيطرة على الموقف .

وانحرفت العربة البيك أب عن الطريق الريفى المرصوف إلى طريق جانبى مليئ بالحصى ، كانت العربة بالية ، بدون رفارف ،

وكانت متهالكة من الصدأ ، وكان من الواضح أنها لا تستطيع أن تسير لمسافة كبيرة ، ولكن يمكنها - فقط - الذهاب إلى المزرعة ، وربما لا تقابل أى عربة أخرى حتى تبلغ وجهتها .

قالت إيف : هل أنت متأكد أنها هذه السيارة ؟! إنها عربة تحمل راكبا واحدا فقط ، وأنا كنت أعتقد أنهم لا يسافرون فرادى !

قال فيليب : الكلب ؟ فقد كان هناك كلب يركب فى الفناء الخلفى للسيارة ، وكان يجرى من جانب إلى آخر كما لو كان يحاول أن يخبر السائق عن بعض الأحداث ، وأكمل فيليب : الكلب واحد منهم أيضا .

عادت إيف فى اليوم السابق من القرية محملة بالمؤن ، فقد كان محل القرية عبارة عن سوبر ماركت حديث ضخم فى هذه الأيام ، فيمكنك أن تجد أى شيء : البن ، والنبيذ ، وخبز بدون حب كراوية ؛ لأن فيليب لا يحب حب الكراوية ، بطيخ ، جمبرى طازج من أجل صوفى ، الكريز الغامق الذى يحبونه جميعا ، آيس كريم بالشيكولاته ، وكل الأشياء الأخرى التى يمكن الاحتفاظ بها لمدة أسبوع آخر .

كانت صوفى تجهز غداء الأطفال ، هتفت مندهشة : أوه ، ماذا سنفعل بكل هذه الأشياء ؟ لقد اتصل إيان تليفونيا ليقول إنه سيطير غدا إلى تورنتو ، وأنه قد أحرز تقدما كبيرا أكثر مما كان

يعتقد فى تأليف كتابه ، ولذلك كان عليه أن يغير خططه بدلا من الانتظار هناك لمدة ثلاثة أسابيع ، وأنه سوف يحضر غدا ليأخذ صوفى والأطفال إلى رحلة صغيرة ، وهو يريد الذهاب إلى كويبك ، فهو لم يذهب إليها قبل ذلك ، وهو يعتقد أنه يجب على الأطفال رؤية ذلك الجـزء من كندا الذى يتحدث الفرنسية .

قال فيليب : إنه يشعر بالوحشة ، ضحكت صوفى وهى تقول : إنه يشعر بالوحشة لنا .

وفكرت إيف فى الاثنى عشر يوما التى مرت ، وكان عليها أن تتسلم المنزل منذ شهر ، وهو منزل صغير ، مجهز بأثاث رخيص لغرض الإيجار الصيفى ، وكانت فكرة إيف هى الحصول على كوخ صيفى بجوار البحيرة من أجل قضاء الأجازات ، وكانت زيارة فيليب وصوفى الأولى منذ قرابة خمس سنوات ، أما ديزى فكانت زيارتها الأولى ، وقد استقرت على هذا القرن الممتد من شاطئ البحيرة ؛ لأن والديها اعتادا على إحضارها إلى هذا المكان مع أخيها حينما كانا مايزالان طفلين ، وقد تغيرت الأشياء ؛ فقد أصبحت كل الأكواخ مثل منازل الضواحى ، وانخفضت الإيجارات ، وكان هذا المنزل يتوغل حوالى نصف ميل شمالا بعيدا عن الصخور ومنعزلا عن الشاطئ الذى يستخدمه الناس ، وكان الأفضل لديها دائما ، فقد كان

يقف فى منتصف القرن الحقلى داخل البحيرة ، وأخبرت أولادها بما أخبرها به والدها ذات مرة حينما قال لها : إنك يمكنك أن تستمعى إلى هذا القرن وهو ينمو فى الليل .

قالت صوفى إنها وإيان والأولاد عليهم أن يؤجروا سيارة للذهاب إلى مطار تورنتو ، ولم تذكر أى شىء عن ذهاب إيڤ معهم ، فلم يكن لها مكان فى السيارة المؤجرة ، ولكن أليس من الممكن لها أن تستقل سيارتها ؟ ويمكن لإيان أن يأخذ الأولاد إذا كان قد استبد به الشوق إليهم ، ويترك لصوفى بعض الراحة ، ويمكن لإيڤ وصوفى أن يركبا معا كما اعتادا أن يفعلا فى الصيف ، وهما مسافران إلى مدن لم يرياها من قبل ، حيث كانت إيڤ تؤدى أدوارا على بعض مسارح تلك المدن .

ولكن الشىء السخيف أن سيارة إيڤ كانت قديمة ؛ فعمرها تسع سنوات ، ولم تكن فى حالة تسمح لها بالسفر الطويل ، وكان إيان فى حالة اشتياق لصوفى ، وبدا ذلك من وجه صوفى الدافئ ، قالت إيڤ : حسنا ، إن ذلك شىء رائع ؛ إنه استطاع إنجاز كل هذا الكم من كتابه .

كانت صوفى تميل إلى الاستقلال بالرأى حينما يتعلق الكلام بكتاب إيان ، وحينما سألت إيان عن موضوع الكتاب قالت صوفى إنه عن الجغرافيا ، واعتقدت أن هذا التصرف هو الوحيد الذى يليق بزوجات الأكاديميين وهذا مالا تفهمه إيڤ ،

وأضافت صوفى : وعلى العموم سوف تحصلين على بعض الوقت لنفسك بعد انقضاء هذا السيرك .

وفكرت إيف فى أنهما ربما يدخلان فى مشاحنة ، وربما كانت هذه الزيارة مجرد حيلة تكتيكية ، فربما تأخذ صوفى الأولاد فى رحلة لمجرد أن تريه شيئا ما ، أن تخطط للإجازة بدونه ، وربما لتثبت لنفسها أنها يمكن أن تفعل ذلك . وكان السؤال الحارق هو ، من الذى قام بالاتصال التليفونى ؟

قالت : لماذا لا تتركين الأولاد هنا بينما تقودين السيارة إلى المطار ، ثم تعودين لتأخذيهم معك ؟ وفى هذه الحالة سوف تمضين وقتا قليلا على انفراد ، ووقتا قليلا مع إيان ، فسوف يكون الأمر جحيما لو أخذتهم معك إلى المطار .

قالت صوفى : إن هذا شىء يغرى .

وكان هذا هو ما فعلته فى النهاية ، وتعجبت إيف مما إذا كانت هى نفسها قد خططت لهذا التغيير حتى تستطيع أن تتصل بفيليب ، الأمر الذى يجب عليها أن تفعله .

ألم تكن مفاجأة كبيرة عندما اتصل أبوك تليفونياً من كاليفورنيا اتصلت صوفى لتخبرهم أنها وإيان قد تزوجا ، تساءلت إيف إذا ما كان الأمر أكثر ذكاء لو أنهما - فقط - عاشا مع بعضهما أولا . ولم تكن تظن أن إيان من ذلك النوع المكافح ، ليس بهذه الجدية ، مثل ذلك الولد الأيرلندى الذى

ظهر واختفى منذ عامين مضيا ، تاركا صوفى وهى حامل فى فيليب ، الذى يبدو للوهلة الأولى شديد الشبه بصامويل بيكيت .

قالت صوفى : أووه ، لا ، إيان شخص غريب الأطوار ، وهو لا يؤمن بهذا ، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن فإنه ليس من المحتمل بالنسبة لأيف أن تذهب إلى كاليفورنيا ؛ فقد رفضت دعوات كثيرة للزيارة لم تكن عاجلة ولا محددة ، ولكن صوفى تركت منزل إيڤ وهى طالبة ذات طفل صغير يحاول تعلم المشى ؛ فتاة شاحبة ، مزعجة ، ولكن معنوياتها عالية ، ثم عادت وهى امرأة ناضجة متزوجة ذات طفلين ، ذات بشرة بلون القهوة المخلوطة بالكريمة ، وتحت عينيها عدد من الكرمشات التى تشبه الهلال والتى تدل على التعب الجسدى ، وتحمل بين جوانحها بغضا شديدا لذكريات الحياة التى كان عليها أن تشارك فيها إيڤ ، بدءا من طفولتها المرحة (كما تتذكرها إيڤ) إلى أيام الشقاوة كأم صغيرة ، وخلال هذه الزيارة رتبوا سويا نظاما جميلا من العمل الروتينى اليومى فى المنزل ، وقضاء فتره بعد الظهر على الشاطئ ، وحينما يخلد الأولاد للنوم فإنهم يتناولون النبيذ ويتسلون بالفرجة على الأفلام ، ويتجنبون ما يجلب الخلافات الحادة أو منغصات القلوب .

وحينما كانت إيڤ لا تزال طفلة كانت تمكث فى المزرعة مع أخيها ووالديها ، ولم يكن لديهم سيارة ، كان ذلك وقت

الحرب ، وكانوا يأتون هنا بالقطار ، وكانت السيدة التى تدير الفندق صديقة لوالدتها ، وكثيرا ما كانت تدعوهم حين تقود سيارتها إلى الريف لشراء الذرة والطماطم والتوت . وأحيانا كانوا يتوقفون لتناول الشاى والفرجة على الأطباق القديمة ، وقطع الأثاث التى تعرض مُخفَّضَةً فى بعض المؤسسات التجارية ، وكان والد إيف يفضل أن يبقى ليلعب الداما مع بعض الرجال الآخرين على الشاطئ ، بينما كان أخوها يتفرج عليهم وهم يلعبون أو يذهب للسباحة بدون وجود حراس ، فقد كان أكبر منها ، لقد اختفى الفندق القديم ، وكذلك الفراندة الطويلة التى كانت تمتد فوق الرمال ، وكذلك اختفت محطة السكة الحديدية ، وحوض الزهور الذى كان يشكل اسم القرية ، وكذلك القضبان الحديدية ، وانتصب بدلا من ذلك مول ذو موضة قديمة ، وبه سوبر ماركت ومحلات تبيع الملابس والمصنوعات القروية .

حينما كانت إيف فتاة صغيرة كانت ترتدى قوسا كبيرا للشعر فوق رأسها ، وكانت مغرمة بالذهاب إلى هذه الرحلات الخلوية الاستكشافية ، وتحب التورتة الرفيعة المليئة بالمربى ، والكعك الجامد من الخارج والطرى من الداخل والمغطى بطبقة من الشيرى ، لم يكن مسموحا لها أن تلمس الأطباق ، ووسادة الدبابيس المصنوعة من الساتان ، أو حتى العرائس القديمة ،

وكانت أحاديث النساء تمر فوق رأسها بتأثير وقتى وسريع من الإحباط مثل السحابات العابرة ، ولكنها كانت تستمتع بالركوب فى المقعد الخلفى ، متخيلة نفسها فوق ظهر حصان أو متخيلة أنها تركب عربة ملكية ، ولكنها فيما بعد ، كانت ترفض الذهاب فى هذه الرحلات ، لقد بدأت تكره أن تركب القطار لمسافات طويلة مـع أمها ، وأن يتم تقـديمها على أنها ابنة أمهـا (ابنتى إيڤا) ، يا للكياسة واللطف والتعالى ، ومازال هذا الصوت يرن فى أذنيها كما لو كانت تتنازل أو تتعطف عليها (هى نفسها يمكن أن تستعمل هذه الطريقة ، أو تستعمل بعض النبرات التى توحى بذلك ، وكانت تكره عادة أمها فى لبس القبعات الكبيرة والجوانتى ، وكذلك الفساتين الشفافة المزينة بالزهور مثل الجرب ، وكذلك أحذية أكسفورد البالية والتى كانت تسبب لها حرجا بالغا ، وكانت إيڤ تلعب مع زميلاتها فى السنة الأولى التى تحررت فيها من المنزل لعبة يسألن فيها عن الشىء الذى تكرهه كل منهن فى أمها ، فكانت واحدة منهن تقول : (الكورسيه) ، والأخرى تقول : (المريلة المبتلة) ، وأخرى تقول : (ذراعيها السميتين) ، وواحدة تقول : (اقتباساتها من الكتاب المقدس) ، أما إيڤ فكانت دائما تقول : (طريقتها فى جرح المشاعر) .

لقد نسيت كل ما يتعلق بهذه اللعبة حتى وقت قريب ، وأصبحت هذه الذكرى الآن مثل أن تلمس ضرسا ملتهبا .

بدأت العربة التى أمامهم تهدئ من سرعتها ، وبدون إشارة جانبية انعطفت إلى حارة جانبية محفوفة بالأشجار على جانبيها . قالت إيف : لا أستطيع أن أستمر فى متابعتهم يافيليب ، فهذه العربة تخص بعض المزارعين وهى تتوجه إلى مزرعته ، قال فيليب : إنك مخطئة ، فيجب علينا أن نتبعهم . واستمرت إيڤ فى القيادة ، وأثناء عبورها للحارة الجانبية لاحظت موقع البوابة ، فقد كان الموقع غير عادى ، تشكل على هيئة منارتين بسيطتين مزينتين بالكوارتز الشفاف المدهون باللون الأبيض وقطع من الزجاج الملون ، ولم تكن أى من هاتين المنارتين مستقيمة ، وكانت نصف مخفية وراء عامود ذهبى ونباتات برية ، ولذلك فقدت هذه البوابة الإحساس الحقيقى بها وبدت كما لو كانت واجهة مسرح مهجور ، وتذكرت إيڤ فى اللحظة نفسها شيئا آخر ؛ صورا التقطت لحائط خارجى مدهون باللون الأبيض ، كانت الصور خيالية ، طفولية ، جامدة ، تحتوى على صور لكنائس ذات أبراج ، وقلاع ، ونوافذ صفراء مائلة إلى أحد الجوانب ، وأشجار الكريسماس المثلثة ، وعلى طيور استوائية ملونة كبيرة يصل حجمها إلى نصف حجم الأشجار ، وحصان سمين ذى أرجل صغيرة وعيون حمراء مشتعلة ، كما احتوت

الصور نهرا ملتويا أزرق مختلف الاتساع كما لو كان شريطا ، وقمرا ، ونجوما ثملة وزهور عباد الشمس الكبيرة تتدلى من فوق سطوح المنازل ، كل هذا مصنوع من قطع الزجاج الملون المثبتة في الأسمنت ، لقد رأتها قبل ذلك ، ولم تكن في أى مكان عام ، لقد كانت في منطقة نائية في الريف ، وكانت مع أمها ، وبدا خيال أمها يلوح أمام الحائط ، لقد كانت تتحدث مع فلاح عجوز ، ربما كان في عمر أمها ، بالطبع ، ولكنه بدا عجوزا لأيف .

لقد كانوا يذهبون للفرجة على الأشياء الغريبة في هذه الرحلات ، وكانوا يتفرجون على بستان الفاكهة المليء بأشجار التفاح الصغيرة ، كما كانوا يتفرجون على الشجيرات الصغيرة التي تم قصها على هيئة دب ، حاولت أن تتذكر موقع هذه البوابة ، ولكن بدا لها أنها تنتمي إلى مكان آخر لا تعرفه ، أدارت العربة وسارت في ممر جانبي ضيق تحت الأشجار ، كانت أشجار بلوط اسكتلندية قديمة ، وربما كانت خطرة ، فيمكن أن ترى الأغصان المتدلية نصف الميتة ، والأغصان التي سقطت منذ فترة أو سقطت لتوها فوق الأعشاب على جانبي الممر ، واهتزت العربة للأمام والخلف ، ويبدو أن إيف أصيبت بدوخة من هذه الاهتزازات ، وبدأت تصاحب الاهتزازات بصوت ووو ، ووووو . وهنا تذكرت ديزى شيئا ما يتعلق بقوس

الأشجار ؛ فالظل المفاجئ ، وحركة العربة المثيرة ، وربما ظلال الجزر البيضاء التى تلمع على نوافذ السيارة ، الإحساس بفيليب بجوارها ، وحماسه المتوهج غير المفهوم ورنين صوته الطفولى وكان لدى إيف إحساس غامض ، وكانت بذراعيها العاريتين اللتين لوحتهما الشمس وظهر عليهما النمش ، وشعرها الأشقر الرمادى الملفوف خلف رأسها ، لها رائحة ، ليس رائحة السجائر والكريمات وأدوات التجميل التى اعتادت أن تنفق عليها مبالغ كبيرة ، هل هى رائحة الجلد القديم ، الثوم ، النبيذ أم غسول الفم ؟ ، وكادت إيف أن تموت فى جلدها حينما تذكرت ديزى ذلك ، ربما كان فيليب وديزى بعيدين عن بعضهما ، وإيف لم تكن تكلم أخاها لمدة ثلاث سنوات ، وليس منذ أن قال لها فى التليفون : لا يجب أن تصبحى ممثلة إذا أردت لنفسك مستوى أفضل من الحياة .

لم تظهر أى إشارة على وجود منزل أمامهم ، ولكن ظهر شبح جراج العربات من خلال فتحة بين الأشجار ، كان المبنى متداعيا ؛ فالحوائط قد تهدمت ، والسقف كان كاملا ولكنه كان مائلا على أحد جانبيه كما لو كان قبعة مضحكة ، وبدت بعض قطع من الآلات الميكانيكية ، والعربات القديمة ، أو الشاحنات المتناثرة فى أرجاء المكان ، لم يكن أمام إيف فرصة كافية لتنظر إلى المكان ، فقد كانت مشغولة فى السيطرة على العربة فى هذا

الممر الوعر ، فقد اختفت الشاحنة الخضراء التى أمامها ، فإلى أى مدى يمكن أن تكون قد ذهبت ؟ ثم وجدت أن الممر ينحنى وينحنى ، ثم تركوا أشجار البلوط وأصبحوا فى ضوء الشمس ، كان البحر يزبد كالعادة ، ويعطى الانطباع القديم نفسه ، كان المنزل خلف أحد الصخور المرتفعة ، وكان المنزل مكونا من طابقين من الطوب الأصفر الرمادى القديم ، وطابق كلاسكى من الخشب ، وكانت نوافذه الناتئة محشوة بالمطاط القذر وكانت أطراف الورق المفضض تظهر من إحدى نوافذه السفلية وهى تغطيها من الداخل .

لابد أنهم وصلوا إلى مكان خطأ ، فلم تستطع أن تتذكر أى شىء عن هذا المنزل ، فلا يوجد أى حائط هنا ، توقفت الشاحنة أمامها ، ولم تستطع أن توقف عربتها بجوارها بسبب انتشار الحصى فى أرجاء المكان ، نزل قائد الشاحنة منها دون أن ينظر إليها ، وأطلق سراح الكلب الذى كان دائب الحركة فى فناء الشاحنة ، وأخذ ينبح بشراسة ، وبمجرد أن لمست قدماه الأرض استمر فى النباح ، ولكنه لم يغادر المكان الذى وقف فيه الرجل ، كان الرجل يلبس قبعة ظللت وجهه ، ولذلك لم تستطع إيف أن ترى التعبير المرسوم على وجهه ، وقف بجوار الشاحنة وهو ينظر إليهم ، ولم يقرر أن يقترب منهم بعد .

فكّت إيف حزام الأمان ، ولكن فيليب صاح بصوت عال :

لا تخرجى من السيارة ، إبقى فى السيارة ، استديرى للخلف ، وأسرعى بالذهاب .

قالت إيف : لا أستطيع ، لا أستطيع ، كل شىء على ما يرام ، هذا النباح مجرد صوت فارغ ، وهو لن يؤذينى .

قال : لا تخرجى من السيارة .

هى لا تستطيع أبدا أن تترك هذه الفرصة تفلت من يديها ، كان فيليب منفعلا جدا ، قالت : هذا ليس جزءا من اللعبة ، إنه مجرد رجل ، قال فيليب : أنا أعرف ذلك ، ولكن لا تخرجى من السيارة ، قالت إيف : لنتوقف عن ذلك ، وخرجت وأغلقت باب السيارة خلفها .

قال الرجل شيئا ما مثل : هييه .

قالت إيف : كنت أبحث عن مكان آخر ، إنه مكان ذهبتُ إليه حينما كنت فتاة صغيرة ، كان ثمة حائط يحمل صورا مصنوعة من قطع الزجاج المكسور ؛ حائط اسمنتى ، أعتقد ذلك ، مطلى باللون الأبيض ، وظننت أن هذا هو المكان المقصود حينما رأيت تلك الأعمدة على بوابة الطريق ، وأنت ربما اعتقدت أننا نسير خلفك ، وهذا شىء سخيف .

سمعت صوت باب العربة ينفتح ، وخرج فيليب وهو يجر ديزى خلفه ، فكر فى أنه يجب عليه أن يقف بجانبها ، وفكرت إيف فى أنه كان عليه أن يكون قريبا منها ، ومدت ذراعها لترحب

به ، ولكنه خلص نفسه من ديزى ، والتف حول إيف وتكلم إلى الرجل ، لكنه كان يشعر بالخوف الهستيرى منذ لحظات قبل ذلك ، ولكنه الآن يقول بتحد : هل كلبك أليف ؟ قال الرجل : إنها لن تؤذيك طالما أننى هنا ، كان الرجل ضئيل الجسد ، ليس أكثر طولا من إيف ، يلبس البنطلون الچينز ، وصداريًا مفتوحًا مليئًا بالأمواج الملونة ، مصنوعا ربما فى بيرو أو جواتيمالا ، وكان يتدلى من صدره سلاسل وميداليات ذهبية ، وحينما يتكلم يلقى برأسه إلى الوراء ، وكانت إيف ترى أن وجهه أكبر من جسمه ، وأن بعض الأسنان الأمامية مفقودة ، قالت : إننا لن نزعجك بعد الآن ، كنت أقول لذلك الرجل - يافيليب - إننا دخلنا فى هذا الطريق بحثا عن مكان جئت إليه وأنا طفلة صغيرة ، وكانت هناك صور مصنوعة من الزجاج على الحائط ، ولكننى أخطأت ، فهذا ليس هو المكان المقصود .

قال فيليب : ما اسمها ؟ قال الرجل : تريكسى . وعند سماع اسمها قفزت الكلبة ومدت يديها ، فهدأها الرجل ، أنا لا أعرف شيئا عن الصور ، فأنا لا أعيش هنا ، أما هارولد فهو الذى يجب أن يعرف .

قالت إيف : وهو كذلك ، ولكن إذا سمحت أن تحرك الشاحنة قليلا حتى أستطيع السير .

قال الرجل : أنا لا أعرف شيئا عن الصور ، ولكن يمكن أن

تنظرى إلى الجزء الأمامى من المنزل ، فأنا لم أنظر إلى هذا الجزء ؛ لأن هارولد هو صاحب البيت ، وهو يبقى هذا الجزء مغلقا دائما .

قالت إيف : لا ، إن الصور كانت خارج المبنى ، لا يهم ، فقد حدث هذا منذ سنوات طويلة مضت .

قال الرجل متحمسا للمناقشة : نعم ، نعم ، نعم ، تعالى واسألى هارولد ليخبرك عن الأمر ، هل تعرفين هارولد ؟ إنه الشخص الذى يمتلك المكان ، ومارى تمتلك المكان أيضا ، ولكن هارولد يبقيها فى المنزل ، ولم تكن هذه غلطته . وتقدم إلى الشاحنة وأخرج صندوقين من البيرة ، واستأنف كلامه : كان على أن أذهب إلى المدينة ، فقد أرسلنى هارولد إليها ، تقدمى أنت وادخلى ، سوف يكون هارولد مسرورا حين يراك ، قال فيليب بجدية : هنا ، تريكسى .

لم تكن إيف تصدق أنه من النوع الذى يهتم بالكلاب .

جاءت الكلبة تلهث وتلف حولهم ، وجفلت منها ديزى وقد أحست بالخوف والسرور ، فقد كانت هى أكثرهم محبة للحيوانات ، وأخذوا طريقهم إلى المنزل ، إيف تحمل ديزى وفيليب وتريكسى يلتفون حولها ويصعدون بعض المرتفعات الأرضية ، وجاء الرجل سريعا خلفهم تفوح منه رائحة البيرة التى كان يشربها وهو فى الشاحنة ، قال : افتحوا الباب وادخلوا ،

الأشياء ليست مرتبة هنا ، فمارى موجودة فى البيت هناك ، ولا أحد يستطيع ترتيب الأشياء كما تفعل هى .

وكانت الفوضى فى كل مكان ، لدرجة أنها تحتاج إلى سنوات لإعادة الترتيب ؛ فالمستوى التحتى مكون من الموائد والكراسى والكنبات وربما موقد غاز أو اثنين ، ومعهم ملابس نوم قديمة وجرائد وظلال النوافذ ، ونباتات ميتة كانت مزروعة فى أصص وزجاجات فارغة ولمبات مكسورة وحبال ستائر مكومة فوق كل ذلك ، وكانت هذه الأشياء ترتفع إلى السقف فى بعض الأماكن ، تسد كل الضوء الواصل من الخارج ، دخل الرجل من الباب وأبقاه مفتوحا ، وصاح على هارولد ، وكان من الصعب أن تقول أى نوع من الحجرات هذه ، فكانت توجد أطباق مطبخ ظهرت من الضوء الذى دخل من الباب ، وبعض الزجاجات على الرفوف ، وكان يوجد أيضا زوج من الأسرة الخفيفة وعليها مراتب عارية وبطانيات بالية ، وكانت النوافذ محجوبة تماما بهذا الركام من الأثاث لدرجة تجعل الإنسان لا يعرف أين هو بالضبط ، وكانت الرائحة التى تملأ المكان هى رائحة مخزن للخردة ، والأحواض المسدودة ، أو ربما دورات المياه المسدودة ، وشحم الطهى والسجائر وكذلك الحلوى والنفايات العفنة .

ولم يجب أحد على الصيحات ، استدارت إيف عائدة ،

وكانت المسافة تكفى للعودة ، وقالت : أعتقد أننا يجب أن ، ولكن الرجل وصل إليها ليفتح بابا آخر وقال : إنه هنا ، هارولد ، وفى الوقت نفسه اندفعت تريكسى إلى الأمام ، وقال صوت آخر : اللعنة ، أخرج هذا الكلب من هنا ، قال الرجل ضئيل الحجم : يوجد سيدة هنا تريد أن ترى بعض الصور ، وأنَّتْ تريكسى من الألم ، فقد ركلها أحد الرجلين ، ولم يكن أمام إيڤ من خيار سوى أن تستمر فى طريقها إلى الغرفة ؛ كانت غرفة الطعام ، توجد مائدة طعام من النوع الثقيل وعدد من الكراسى ، وكان ثلاثة رجال يلعبون الورق ، أما الرابع فقد نهض ليركل الكلب ، وكانت درجة حرارة الغرفة حوالى تسعين درجة !

قال أحد الرجال الجالسين على المائدة : اغلق الباب ، يوجد تيار هواء . أخرج الرجل الضئيل تريكسى من تحت المائدة وألقاها خارج الحجرة ، ثم أغلق الباب خلف إيڤ والأولاد ، كانت ذراعا الرجل الواقف مليئتين بالوشم الكثيف لدرجة أنه بدا كما لو كان جلده مليئا بالفقاقيع ، أمسك رِجْلاً واحدة كما لو كان يتألم ؛ ربما ضرب المائدة بقدمه حينما ضرب تريكسى ، كان شابا ذا كتفين حادين ورقبة دقيقة ، على الأقل هذا ما ظنته إيڤ ؛ لأنه يلبس شعرا مستعارا على هيئة سنابل ذهبية ويلبس حلقا ذهبيا فى أذنيه لم يستدر ، بل جلس ، وكان

الرجل المقابل له فى مثل عمر إيف تقريبا ، وكان حليق الرأس وله ذقن رمادية مرتبة ، وعينان زرقاوان ، نظر إلى إيف بدون أن يظهر أى مودة ولكن بكثير من الذكاء والفهم ، وكان فى هذا عكس الرجل الموشوم الذى نظر إليها كما لو كانت نوعا من الهلوسة لدرجة أنه قرر أن يتجاهل وجودها .

وعند طرف المائدة ، وفى مكان المضيف أو كرسى الأب ، جلس الرجل الذى أعطى الأمر بقفل الباب ولكنه لم يعر هؤلاء أى اهتمام ، كان رجلا ضخم العظام ، بدينا ، وله شعر بنى مجعد ، وكان عاريا إلى أقصى حد ، وكان الرجلان الآخران (الموشوم والأشقر) يلبسان الچينز ، وكذلك ذو الذقن الرمادية ولكنه كان يلبس قميصا مزررا حتى رقبته وربطة عنق رفيعة ، وكانت الزجاجات والكاسات أمامهم على المائدة ، والرجل الذى يجلس على كرسى المضيف - لا بد أنه هارولد - والرجل ذو اللحية الرمادية ، كانا يشربان الويسكى ، أما الآخران فكانا يشربان البيرة، قال الرجل الضئيل : لقد أخبرتُها أنه ربما توجد هذه الصور فى مقدمة المنزل ، ولكنها لم تستطع الذهاب إلى هناك ، فأنتم تغلقون هذا الجزء من المنزل .

قال هارولد : اخرس . قالت إيف : أنا آسفة حقا ، ولم يبد أن هناك شيئا آخر لتفعله سوى أن تنصرف لشأنها ، وتنزل فى فندق البلدة كبنت صغيرة مع أمها ، وأما الصور على الحائط

أو ذكرياتها عنها اليوم ، والبوابة ، فكان من الواضح أن ذلك خطؤها ، وأن عليها أن تعتذر وكانت تتكلم مباشرة إلى صاحب اللحية ، حيث إنه بدا الوحيد الذى لديه استعداد للاستماع إليها ، وأحست بكتفيها وذراعيها يؤلمانها من ثقل ديزى ، ومن التوتر الذى ملأ جسدها كله ، ومع ذلك فقد كانت تفكر فى كيفية شرح الموقف .

تكلم الرجل ذو الحية بينما لم تستطع أن تمضى فى تفكيرها أكثر من تقديم الاعتذارات ، قال : أنا لا أعرف ، وعليك أن تسألى هارولد ، هاى ، هاى هارولد ، هل تعرف أى شىء عن بعض الصور المصنوعة من الزجاج المكسر .

قال هارولد بدون أن ينظر إلى أعلى : أخبرها أنها بينما كانت تتجول بحثا عن الصور لم أكن قد ولدت بعد .

قال الرجل ذو اللحية : ليس لك حظ ياسيدة

صفر الرجل الموشوم قائلا : هاى ، أنت ، يافتى ، هل تستطيع العزف على البيانو ؟

وكان يوجد بيانو خلف مقعد هارولد ، قالت إيڤ بسرعة : لا هو لا يستطيع العزف !

قال الرجل الموشوم : أنا أسأله هو ! وأضاف : هل يمكن أن تعزف أى لحن ؟

قال صاحب اللحية : دعه وشأنه ؟

قال : أنا فقط أسأله إن كان يعرف العزف ، ما الضرر فى ذلك ؟

قال صاحب اللحية : دعه وشأنه .

قالت إيف : كما ترى أنا لا أستطيع أن أتحرك إلا إذا حرك أحد الشاحنة ، إذا كنت تستطيع أن تحركها ، استدارت وهى تتوقع أن تجد الرجل الضئيل بجانبها ، فتوقفت حين لم تجده معها ، لم يكن بالغرفة كلها ، لقد خرج دون أن تعرف ، ماذا يكون الأمر لو أنه أغلق باب الحجرة ، وضعت يدها على الأكرة وأدارتها فانفتح الباب بصعوبة قليلة وصوت صرير ، وكان الرجل الضئيل رابضا هناك ، يستمع للحوار ، خرجت دون أن تكلمه ، خرجت من خلال المطبخ ، وخرج فيليب بجوارها مثل أكثر الأطفال أدبا فى العالم ، وتنفست بعمق بمجرد خروجهم إلى الممر الخارجى كما لو كانت لم تتنفس حقيقة منذ وقت طويل .

جاء صوت الرجل الضئيل قائلا : يجب أن تستمرى فى هذا الطريق حتى نهايته ، ثم اسألى هناك ، فلديهم مكان جميل ، لديهم منزل جديد ، وصاحبته تحافظ عليه نظيفا وجميلا ، وسوف يطلعونك على صور أو أى شىء آخر تريدين ، وسوف يرحبون بك ، سوف يقدمون لك الراحة والطعام ، فهم لا يتركون أحد يمضى خالى الوفاض .

لم يستطع أن يجثم أمام الباب طوال الوقت ؛ لأنه حرك الشاحنة من مكانها ، واختفت إيف بسرعة عن الأنظار داخلها .

قالت إيف : شكرا لإخبارك إياى ، وثبتت إبزيم ديزى ، أما فيليب فقد كان قادرا على تثبيت إبزيمه بنفسه دون أن يذكره أحد بذلك ، ظهرت تريكسى من حيث كانت وسارت حول العربة تشم الإطارات ، أغلقت إيف باب السيارة ، ومدت يدها المبللة بالعرق بمفتاح السيارة ، بدأت فى الدوران ، وبينما إيف تدير العربة ، رأت بعض قطع من الحائط ، مازال الدهان الأبيض عالقا عليه ، وفكرت فى أنها يمكن أن ترى قطعا تلمع من زجاج ملصق هناك ، ولكنها لم تهدئ من سرعة العربة لتلقى نظرة ، وكانت تأمل ألا يلاحظ فيليب شيئا ، وجهت العربة نحو الطريق وأسرعت تتخطى هذه الكومات من القاذورات فى اتجاه الطريق ، وقف الرجل الضئيل هناك ملوحا بكلتا يديه ، وكانت تريكسى تهز ذيلها ، واستمرت تطارد العربة بعض الطريق .

كانت إيف تقود السيارة ببطء شديد لدرجة أنه كان من الممكن لشخص ما - بكل سهولة - أن يظهر من بين الشجيرات المحيطة ويفتح باب العربة ويدخل إليها دون أن تلاحظ إيف ذلك ، كان الولد الأشقر الذى يجلس إلى المائدة هو الشخص الذى لم تستطع أن ترى وجهه ، لا تخافوا ، لاتخافوا جميعا ، إننى فقط أتساءل إذا كنت أستطيع أن أركب معكم أيها الرفاق ،

أوكيه ؟ قالت الفتاة : لم أستطع أن أطلب منك ذلك وأنتم فى المنزل ، لقد ذهبت إلى الحمام وخرجت من النافذة وركضت حتى هنا ، وربما لم يعرفوا أننى غادرتهم بعد ، إنهم مهتاجون ، لقد جذبت هذا القميص من الحمام ، الأوغاد .

تركت إيف الطريق الجانبى وظلمته ، وسارت فى الطريق المعتاد ، وقالت : ياإلهى ، أنا سعيدة بالخروج من هناك ، وقالت الفتاة : لم أكن أعرف شيئا من هذا الذى دخلت فيه ، أنا لا أعرف حتى كيف وصلت إلى هناك ، كان الجو ليلا ، لا يوجد مكان لى ، أنت تعرفين ما أعنى .

قالت إيف بدا أنهم سكارى طيبون ، أليس كذلك ؟

قالت الفتاة : نعم ، حسنا ، أنا آسفة ؛ لأننى أدخلت عليكم الرعب .

قالت إيف : لم يحدث شيء .

قالت الفتاة إذا لم أقفز داخل السيارة ، فلا أعتقد أنك كنت ستقفين لى .

قالت إيف : لا أعرف ، أعتقد إننى كنت سأقف إذا تبين لى أنك فتاة ، فأنا لم أنظر إليك مليا من قبل .

فأنا لا أشبه الفتاة الآن ، أنا أشبه شيء بالزبالة ، أنا أقول إننى لا أحب أن أحتفل ، أنا أحب الحفلات ، لكن هناك فرقا بين حفلات وحفلات ، أنت تعلمين ماذا أعنى .

اعتدلت فى كرسيها ونظرت إلى إيف نظرة فاحصة ثابتة لدرجة أن إيف اضطرت لأن ترخى عينيها بعيدا عن الطريق للحظة وتنظر للخلف . ووجدت أن هذه الفتاة مخمورة أكثر مما يبدو ، وأن عينيها البنيتين الغامقتين كانتا تلمعان وكانتا مفتوحتين على اتساعهما ومحاطتين بالتعب ، ومليئتين بالانطباع بأنهما تستغفلانك ، وكان جلدها مبقعا فى بعض الأماكن ورماديا فى أماكن أخرى ، وكان وجهها ينطق بتأثير حفلة سمر صاخبة ، كانت امرأة سمراء جميلة لدرجة كبيرة ، وإذا ما صرفت النظر عن منظرها الحالى القذر ، فإنك تتعجب كيف لها أن تختلط بهارولد وأصحابه ، كانت عريضة الكتفين بالنسبة لفتاة ، وربما تسببت طريقة معيشتها فى إنقاص وزنها بما يعادل عشرة أو خمسة عشر رطلا ، ولكنها لم تكن طويلة ، ولم تكن - حقيقة - تشبه الأولاد .

قالت : إن هيرب مجنون حقا لكى يحضرك إلى هناك ، إن عقله مختل .

قالت إيف : لقد فهمت هذا .

قالت : لست أعرف ماذا يفعل هناك ، أعتقد أنه يعمل عند هارولد ، لا يستفيد منه .

لم تصدق إيف نفسها أبدا فى أن تنجذب إلى امرأة أخرى ، وكانت فكرتها عن الجاذبية لامرأة لم تكن أبدا مثل هذه القوة ،

ولكن ربما لم تعتقد أن هذا شيء ممكن ، فلا بد أنها معتادة جدا على جذب انتباه الناس على أية حال .

كان والد صوفى من ولاية كيرالا فى جنوب الهند ، التقت به إيف فى قطار من فارنكوفر إلى تورنتو ، كان طبيبا شابا يدرس فى كندا فى بعثة ، كان متزوجا بالفعل ، وله طفلة فى الهند ، استغرقت رحلة القطار ثلاثة أيام ، وتوقف القطار لمدة نصف ساعة وهو فى طريقة إلى كاليجارى ، وذهبت إيف والطبيب الشاب للبحث عن مخزن للأدوية لشراء بعض الطلبات لم يستطيعا الاهتداء إلى أى صيدلية ، وفى الوقت الذى ذهبا فيه إلى وينبج ، حيث توقف القطار لمدة ساعة كاملة ، كانا متأخرين ، كانت إيف تقول حينما تروى قصتها هذه فيما بعد ، فى الوقت الذى غادرا فيه حدود مدينة كاليجارى ، كان الوقت قد فات ، وكان هو مسافرا فى العربات النهارية ، فلم تكن المنحة تكفل له غير ذلك ، إيف استطاعت أن تحجز لها حجرة فى عربة النوم ، وقد كفلت لهما الراحة والخصوصية لدرجة أنها كانت المسؤولة - كما تقول إيف - عن إيجاد صوفى وهو أعظم تغيير فى حياة إيف ، وفى تورنتو ودعت حبيبها الهندى ؛ لأنه كان عليها أن تقابل هناك الرجل الذى كان يحوز الاهتمام الرئيسى والمتاعب الكبرى فى حياتها ، لقد قضت الثلاثة أيام مع حبيبها فى القطار على أجمل ما يكون ، وكانت هذه الأيام تبدو

بريئة لا تقاوم ، وتتذكر هذه الأيام كأجمل ما مر فى حياتها لم تشعر فيها بأى أسى .

لقد أخبرت صوفى عن اسمه المسيحى (توماس) ، لم تسمع إيف قبل ذلك عن المسيحيين القدامى فى جنوب الهند ، ولفترة ما ، عندما كانت فى سنوات المراهقة ، حدث أن اهتمت صوفى بكيرالا ، أحضرت إلى المنزل كتبا من المكتبة وأخذت تذهب إلى الحفلات وهى ترتدى السارى الهندى ، وحينما كبرت صارت تتكلم عن أبيها ، عن أنها تعرف اسمه الأول كما تعرف موضوع دراسته - أمراض الدم - وفى هذا الكفاية ، وأخبرتها إيف عن حجم السكان فى الهند ، وعن أنه ربما لا يعيش هناك الآن ، والأمر الذى لم تستطع أن تشرحه لها كيف أن وجودها فى الحياة جاء عن طريق الصدفة غير المتخيلة ، ولحسن الحظ أن هذه الفكرة شحبت بالتدريج ، وكفت صوفى عن لبس السارى حينما صار هذا الزى عاديا ، والمرة الوحيدة التى ذكرت فيها أباها فيما بعد ، حينما كانت تحمل فيليب وتلقى النكات حول الحفاظ على التقليد العائلى الخاص بالآباء الطائرين .

قالت إيف للفتاة : إلى أين تريدين الذهاب ؟

قالت الفتاة بطريقة سريعة وهى تواجه الطريق : على أين أنت ذاهبة ؟ هل تعيشين هنا ؟

قالت إيف : هناك أتوبيس يمر خلال هذه القرية ، وهو يقف عند محطة الوقود ، لقد رأيت اللافتة .

قالت الفتاة : نعم ، ولكن فقط ليس معى نقود ، فكما ترين ، لقد خرجت من هناك بشكل سريع ولم أستطع أن أتقاضى أية نقود ، ولذلك ما فائدة أن أركب الأتوبيس بدون نقود ؟

كان الشيء الذى تبادر إلى ذهن إيف هو أن الفتاة تهددها ، ويمكن أن تقول لها إنها تستطيع أن تقف فى الطريق لتركب مجانا إذا لم يكن معها نقود ، لم يكن يبدو عليها أنها تحمل مسدسا داخل هذا البنطلون الجينز الضيق ، وربما كانت تحاول أن تبدو بهذا المنظر ، ولكن ماذا عن سكين ؟ استدارت الفتاة للمرة الأولى لتنظر إلى المقعد الخلفى وقالت : أنتم أيها الأولاد ، مرتاحون ؟ ولم تصدر عنهم أية إجابة ، قالت إنهم ظرفاء ، إنهم خجولون مع الأغراب ، كانت حقيبة يد إيف على أرضية السيارة أمام قدمى الفتاة ، لم تكن تعلم كم من النقود تبقى فيها ، ربما ستون أو سبعون دولارا ، ربما أكثر قليلا ، إذا قدمت لها نقودا للتذكرة فربما تختار بلدا بعيدا يكلف مبلغا كبيرا ، مونتريال أو على الأقل تورنتو ، وإذا قالت خذى ما بداخل الحقيبة ، فربما تعتبر الفتاة ذلك استسلاما ، ربما تحس بخوف إيف وربما تحاول الضغط أكثر ، فما أفضل شيء تستطيع أن تفعله ؟ تسرق السيارة ؟ إذا تركت إيف والأولاد بجانب الطريق ، فربما يتبعها

البوليس بسرعة ، وإذا تركتهم قتلى فى بعض البقاع فربما تستطيع الذهاب لمسافة أبعد ، أو إذا أخذتهم رهائن وقد وضعت سكينا بجانب إيف أو أمام حنجرة أى من الأطفال ، إن مثل هذه الأشياء تحدث ، ولكن ليس بالطريقة التى تحدث بها فى السينما ، استدارت إيف إلى طريق ريفى ، وكان مزدحما ، لماذا جعلها ذلك تشعر بتحسن . ؟ فالأمان هنا مجرد وهم ، فربما تقود سيارتها على الطريق السريع فى منتصف النهار وهى تحمل نفسها وأولادها إلى حتفهم .

قالت الفتاة : إلى أين يمضى هذا الطريق ؟

قالت إيف : إنه يمضى إلى الطريق الرئيسى السريع .

لنمض إلى هناك .

قالت إيف : هذا ما أفعله .

وإلى أى الطريق يمضى هذا الطريق السريع ؟

إنه يمضى شمالا إلى أوين ساند ، أو إلى نومبرمورى ، حيث يمكن الحصول على قارب ، أو إلى الجنوب إلى . . . . . لا أدرى ، ولكنه يتصل بطريق سريع آخر يؤدى إلى سارينا أو لندن ، أو ديترويت أو تورنتو إذا واصلت السير .

لم يتكلموا بعد ذلك حتى وصلوا إلى الطريق السريع ، واستدارت إيف وقالت هذا هو .

أى الطرق تسلكين ؟ ألا يمكن أن تعرفى عن طريق

الشمس؟ قالت إيف : أنا أتجه شمالا ، قالت الفتاة : أنت تعيشين هناك إذن . قالت إيف : أنا ذاهبة إلى القرية ، سوف أتوقف من أجل التزود بالوقود . قالت الفتاة : لديك وقود ، لديك أكثر من نصف التنك .

كان هذا غباء من إيف ، كان يجب أن تقول إنها تريد بعض البقالة ، وأطلقت الفتاة أنينا وتأوها يدلان على الاسترخاء .

قالت : هل تعلمين ، يجب أن أنزل هنا لو أننى أنوى أن أحصل على توصيلة مجانية ، فالحصول على توصيلة هنا سهل كما هو فى كل مكان .

توقفت إيف على جانب الطريق الملئ بالحصى ، وتحول الإحساس بالراحة لديها إلى شىء أشبه بالإحساس بالعار ، فكيف يكون الحال حينما تكون مخمورا ، ضائعا ، مفلسا ، على قارعة الطريق ! : أى طريق تسلكين ؟

قالت إيف : شمالا .

وأى طريق يؤدى إلى سارينا ؟

جنوبا ، عليك فقط أن تعبرى الطريق ؛ فالعربات تتجه جنوبا ، حاذرى حركة المرور .

قالت الفتاة : أكيد . قالت ذلك وصوتها يبتعد ، كانت تجهز لفرص أخرى جديدة ، وكان نصفها خارج العربة وهى تقول : دعينا نراك ، ثم قالت للأولاد الجالسين على المقعد

الخلفى : دعونا نراكم ، كونوا طيبين . قالت إيف : انتظرى ، مالت بجذعها إلى الأمام وتحسست حقيبتها بحثا عن محفظتها ، وأخذت ورقة بعشرين دولارا ، وخرجت من السيارة وذهبت إلى حيث تنتظر الفتاة ، وقالت : خذى سوف أساعد بهذا .

قالت الفتاة : نعم ، أشكرك ، قالت ذلك وهى تدس الورقة فى جيبها وعيناها على الطريق .

قالت إيف : اسمعى ، سوف أخبرك بعنوانى ، إذا ضاقت بك السبل ، إنه على بعد ميلين شمال القرية ، والقرية على بعد نصف ميل من هنا ، شمالا ، من هذا الطريق ، إنه منزل وحيد بين الحقول ، وبه نافذة واحدة على جانب واحد من الباب الأمامى ، ونافذة صغيرة بهيجة المنظر على الجانب الآخر ، حيث يوجد الحمام .

قالت الفتاة : نعم .

قالت إيف : لو أنك لم تستطيعى الحصول على توصيلة . . . .

قالت الفتاة : أوكيه ، أكيد .

وحينما بدأت إيف السير مرة أخرى ، قال فيليب : أنا لم أر أبدا فى حياتى أى شخص . بمثل هذا الغباء . وطلب من إيف بعد أن دخلوا القرية أن تتوقف من أجل شراء آيس كريم ، ولكن إيف رفضت قائلة : يوجد زحام كبير على الآيس كريم ، ولن

نجد مكانا نضع فيه العربة ، ونحن عندنا الكثير منه فى البيت .
قال فيليب : لا يجب أن تقولى (البيت) ، إنه فقط المكان الذى نوجد فيه ، فلا يجب أن تقولى عنه البيت .

كانت أكوام القش الكبيرة فى الحقول شمال الطريق السريع تواجه الشمس ، وكانت وهى معبأة بطريقة مكدسة تبدو مثل دروع من وجوه معدنية ، وبعد عبورهم لهذه الحقول رأوا حقولا من الذهب الناعم الباهت من الشعير .

قالت لفيليب : هذا ما يسمى الشعير ، هذه الأشياء الذهبية التى لها ذيول .

قال : أنا أعرف .

قالت إن هذه الذيول تسمى ذقونا أحيانا . وبدأت تنشد :

ولكنَّ الحاصدونَ يحصدون مبكرًا
مِن بيْن ذِقُوْنِ الشَّعيرِ
فقط الحاصِدونَ
يَحْصُدون مُبكرًا .

وحاولت أن تتذكر :

انقذوا الحاصدين
إِنَّهم يَحْصُدون مُبكرًا .

كانت تلك القصيدة هى المفضلة لديها (انقذوا الحاصد)
اشترت صوفى وإيان الذرة من جانب الطريق ، كان من أجل

الغذاء ، فقد غيروا خطتهم ، ولن يغادروا المنزل حتى الصباح ، وكانوا قد اشتروا زجاجة من الْجن وبعض الليمون ، ويبدأ إيان يحضر الشراب بينما إيف وصوفى يقشرون الذرة ، انحنى إيان وهو يقدم الشراب لإيف ، وبعد أن تذوقته قالت : هذا شىء سام جدا .

لم يكن إيان كما تتذكره أو تتصوره ، لم يكن طويلا ، كان ألمانيًا ، عديم الإحساس بالفكاهة ، كان رجلا نحيفا ، ذا شعر كثيف ، متوسط الطول ، سريع الحركة ، وكانت صوفى أقل ثقة بنفسها ، متحمسة أكثر لكل ما تقول أو تفعل منذ الأسبوعين الأخيرين ، ولكنها كانت أكثر سعادة أيضا .

قالت صوفى : أوه ، ماما ، يا للعار ! كانت تتوهج بالسعادة وهى ترى إيان وإيف سعداء مع بعضهما . وقالت : هل أنت متأكد أننا كنا فى المكان الصحيح ؟

قالت إيف : ربما لا ، ربما لا .

ولم تذكر وهى تحكى ما حدث ؛ شظايا الحائط التى رأتها خلف الشجيرات ، ولماذا القلق ، هناك مئات الأشياء الأخرى تذكرها ، أولا : اللعبة التى لعبتها مع فيليب ، وأثارته إثارة بالغة ، وتقريبا كل شىء عن هارولد وعن رفقائه ، كل شىء عن الفتاة التى قفزت داخل السيارة . هناك أناس ينشرون الإحساس بالجمال والتفاؤل حولهم ، ويبدوا أنهم يطهرون كل جو

يتواجدون فيه ، ولا يمكن أن تخبرى هؤلاء الناس بأشياء شديدة الفوضى ، وإيان يعتبر إيف واحدة من هؤلاء الناس على الرغم من كرمه ، وصوفى تعتبر نفسها سعيدة جدا ومحظوظة أنها وجدته ، ويمكن لأيف أن تقول إن رائحة كريهة تجتاح المنزل ، وأن المالك وأصدقائه بدوا سكارى ضائعين ، ولكن ليس بسبب أن هارولد كان عاريا .

كان فيليب يجمع قشور الذرة ويحملها للخارج ويلقيها على حافة الحقل ، وأحيانا كانت ديزى تجمع القليل من هذه القشور بنفسها وتأخذها لتنشرها حول المنزل ، ولم يضف فيليب شيئا لقصة إيف ، وبدا غير مهتم بالحكاية ، ولكن بما أنها قد قيلت مرة ، فإن إيان (الذى كان مهتما بدراسة هذه المناطق الريفية الرعوية القديمة) كان يسألها عما تعرف عن هذه القرى القديمة ، وفكرت إيف إذا ما جاءت هذه الفتاة للبحث عنها ، فإن مجموعة فيليب جميعا سوف تتواجد هنا ، إذن فإن حرص إيف سوف يذهب هباء ، الفتاة لن تأتى ، وسوف تتقدم لها عروض طيبة لو وقفت عشر دقائق على السريع ، وربما عروض أكثر خطورة ، ولكن أكثر إثارة ، أو أكثر فائدة ، لن تأتى الفتاة ، وإذا ما جاءت فإنها مازالت موجودة ، ربما ليس الليلة ، ولكن ليلة الغد ، سوف تضطجع إيف فى هذا المنزل الخلوى ، تحيط بها جدرانه كما لو كانت صدفة حولها ، وسوف ترغم نفسها على إضاءة

النور ، خالية الذهن من كل المشاكل ، وتأمل أن تستطيع الذهاب إلى النوم ولا شيء يشغل بالها إلا حفيف أعواد الذرة .

* * *

مفسر الآلام

قصة : جومبا لاهيرى

جاء فى المذكرة التى وصلت إليهم ؛ أن هذا الموضوع مؤقت ، فسوف تقطع الكهرباء على مدى خمسة أيام اعتبارا من الساعة الثامنة مساء لمدة ساعة واحدة كل يوم ؛ وذلك بسبب عطل أصاب خط الكهرباء أثناء العاصفة الثلجية الأخيرة ، وسوف يتم الإصلاح خلال الليالى المعتدلة ، وسوف يؤثر العمل فقط على المنازل المجاورة لخط الأشجار على الشارع ، والتى تمتد لمسافة قصيرة من محطة المترو ، وتحتوى على المحلات المقامة من الأحجار ، حيث عاش كل من شوبا وشوكومار لمدة ثلاث سنوات .

قالت شوبا بعد أن قرأت المذكرة بصوت عال وهى تؤكد المعنى لنفسها : إن هذا جميل منهم أن يحذرونا ، ثم تركت حزام الحقيبة الجلدية ينزلق من على كتفيها وتركتها فى الصالة أثناء عبورها إلى المطبخ . كانت تلبس معطفَ مطر من البوبلين الأزرق الداكن ، فوق بنطلون رمادى وحذاء خفيفٍ أبيض اللون ، وكانت تبدو - وهى فى الثالثة والثلاثين - مثل ذلك النوع من النساء اللاتى كانت تدعى أنها لن تكون مثلهن أبدا .

كانت قد عادت لتوها من الجيمانيزيوم ، وكان طلاء الشفاه باديا على الأطراف الخارجية فقط من شفتيها ، وقد ترك ماكياج العينين بقعا تحت أجفانها السفلية ؛ كانت تبدو هكذا أحيانا من وجهة نظر شوكامار فى الصباحات التى تلى ليالى الحفلات ،

أو بعد قضاء ليلة فى بار ، حينما تكون كسولة جدا لدرجة تمنعها غسل وجهها ، أو تكون شديدة الشوق لدفء أحضانه ، ألقت مجموعة من الخطابات فوق المائدة دون أن تنظر إليهم ، ومازالت عيناها مركزتين على مذكرة الكهرباء فى يدها الأخرى ، ثم قالت : ولكن يجب عليهم القيام بهذا الإصلاح أثناء النهار ؟! قال شوكومار : أنت تقصدين أثناء وجودى هنا - ثبتْ الغطاء الزجاجى على الفانوس ، احكم وضعه جيدا لدرجة تمنع أى كمية من البخار من النفاذ من خلاله ، كان يعمل فى البيت منذ يناير الماضى ، محاولا الانتهاء من الفصول الأخيرة من رسالته للدكتوراه فى موضوع (حركات الإصلاح الزراعى فى الهند) .

سأل : متى سوف يبدأ الإصلاح ؟؟ قالت شوبا : تقول المذكرة فى التاسع عشر من مارس ، هل اليوم هو التاسع عشر ؟ وتوجهت شوبا إلى اللوحة الفللين المعلقة على الحائط العارى بجوار الثلاجة ، والذى لا يوجد به إلا نتيجة كان أحد الأصدقاء قد أرسلها لهم كهدية فى البريد بمناسبة أعياد رأس السنة ، على الرغم من أنهما لم يحتفلا بالعيد فى تلك السنة ، ونظرت إلى النتيجة وقالت : إنه اليوم ، وبالمناسبة ، لديك موعد مع طبيب الأسنان يوم الجمعة القادم . تحسس أطراف أسنانه بلسانه ، لقد نسى أن يغسل أسنانه بالفرشاة هذا الصباح ، ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى ينسى فيها ذلك . إنه لم يغادر المنزل إطلاقا

هذا اليوم أو اليوم السابق ، فكلما زادت الساعات التى تقضيها شوبا فى الخارج ، وكلما تحملت أعباء مشاريع إضافية ، كلما زاد هو رغبة فى البقاء فى المنزل ، ولا يغادره حتى لإحضار البريد ، أو لشراء الفاكهة أو النبيذ من المحلات المجاورة لمحطة الترولللى .

لقد كان شوكومار فى مؤتمر فى بلتيمور منذ ستة أشهر ، فى سبتمبر ، حينما التحقت شوبا بالعمل ، قبل ميعادها المحدد بثلاثة أسابيع ، ولم يكن يرغب فى الذهاب إلى المؤتمر ، ولكنها أصرت ، فحضوره المؤتمر ضرورى لتكوين علاقات ، خصوصا أنه سوف يدخل سوق العمل العام القادم ، وأخبرته أنها حصلت على رقم تليفون الفندق الذى ينزل فيه ، كما حصلت على نسخ من جدول الأعمال ورقم رحلة الطيران ، وأنها رتبت مع صديقتها چيليان أمر الذهاب إلى المستشفى فى حالات الطوارئ .

ووقفت شوبا ملوحة لزوجها بالوداع حينما انطلقت سيارة الأجرة فى طريقها إلى المطار فى ذلك الصباح ، وكانت تضع يدها على بطنها العالية كما لو كانت جزءا طبيعيا من ذلك الجسد ، وفى كل مرة كان يتذكر هذه اللحظة ؛ اللحظة الأخيرة التى رأى فيها شوبا حاملا ، كانت عربة الأجرة هى التى تقفز إلى ذهنه أكثر ، هذه العربة الضخمة ماركة (ستيشن واجن) ذات

اللون الأحمر والحروف الزرقاء ، لقد كانت شديدة الضخامة مقارنة بسيارتهم ، فعلى الرغم من أن شوكومار كان طوله يصل لستة أقدام ، وكانت ذراعاه كبيرتين ، حتى أنه لم يكن يستطيع أن يضعهما فى جيب البنطلون الچينز بطريقة مريحة ، فإنه شعر بأنه قزم فى المقعد الخلفى لتلك السيارة ، حينما انطلقت العربة فى شارع بيكون ، فإنه تخيل ذلك اليوم الذى سوف يحتاج هو وزوجته إلى عربة كبيرة من ذلك النوع ، لكى يقلوا الأولاد فى الخلف للذهاب إلى دروس الموسيقى ومواعيد أطباء الأسنان . كما تخيل نفسه قابضا بإحكام على عجلة القيادة ، بينما تستدير شوبا حول العربة لكى تعطى الأطفال علب العصير . وذات مرة ، كانت هذه التخيلات الأبوية سببا فى حزن شوكومار ، وأضاف ذلك إلى قلقه من أنه مازال طالبا وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره ، ولكن الأشجار - فى هذا الصباح الخريفى - كانت مثقلة بأوراقها البرونزية ، ووجد نفسه لأول مرة يأنس لهذه الأفكار .

التقى فى غرفة الاجتماعات بعضو من العاملين فى المؤتمر وسلمه رسالة ، كان بها فقط رقم تليفون ، وأدرك شوكومار أنها المستشفى ، وكان كل شيء قد انتهى حينما عاد إلى بوسطن ، لقد ولد الطفل ميتا ، وكانت شوبا راقدة على السرير ، نائمة فى حجرة خاصة صغيرة لدرجة أنه لا يكاد يوجد مساحة كافية

للوقوف بجوارها ، فى جناح المستشفى الذى لم يضع فى حسبانه زيارة الأهل المتوقعة ! كانت المشيمة ضعيفة وكان عليهم إجراء عملية قيصرية ، وإن لم يتم ذلك بالسرعة المطلوبة ، وشرح الطبيب أن هذه الأشياء تقع ، وابتسم بطريقة لطيفة بالرغم من أن الناس يدركون أنها ابتسامة مهنية ، وأضاف أن شوبا سوف تصبح قادرة على العودة لمنزلها على قدميها فى غضون أسابيع قليلة ، ولم يكن هناك أى شيء يدل على أنها أصبحت غير قادرة على الإنجاب فى المستقبل . وفى تلك الأيام كانت شوبا دائما تخرج لعملها فى الوقت الذى يستيقظ فيه شوكومار ، وهو يفتح عينيه ليرى شعرها الأسود الطويل الذى يتساقط على مخدتها ، ويفكر فيها وهى تلبس ، وهى ترشف فنجانها الثالث من القهوة ، فى مكتبها أسفل المدينة ، حيث تبحث عن الأخطاء الطباعية فى أصول الكتب ، وتضع عليها علامات بنوع خاص من أقلام الرصاص الملونة بلغة كودية ، شرحتها يوما له ، ووعدته بأنها سوف تقوم بتصحيح رسالته حينما تكتمل .

إنه كان يحسدها على دقة أدائها لمهمتها ،بعكس طبيعته التى تتسم بالخيال ، إنه طالب عادى لديه القدرة على فهم العموميات ، وتجاوز التفاصيل دون طموح للوقوف أمامها ، حتى سبتمبر الماضى ، فقد كان مجتهدا إن لم يكن معطيا جهده

كله لدراسته ؛ يلخص الفصول ، يلخص المناقشات على ورق مسطر ، ولكنه الآن ينام فى السرير حتى يصيبه الملل ، محملقا فى الناحية القريبة له من الدولاب الذى اعتادت شوبا أن تتركه نصف مفتوح ، موجها نظره إلى صف الچواكت التويد والبنطلونات القطنية . كان انسحابه من مهام التدريس قد أصبح متأخرا جدا بعد موت الطفل ، ولكن المشرف رتب له الأمور بحيث يكون لديه فترة الربيع للقيام بأبحاثه ، وسوف يعطيه ذلك دفعة كبيرة خلال فصل الصيف ، كما قال المشرف له ، ولكن لا شيء كان يدفع شوكومار للعمل ، وبدلا من ذلك جلس يفكر فى أنه وزوجته أصبحا خبراء فى تجنب أحدهما للآخر فى منزلهما الذى يحتوى على ثلاث غرف للنوم ، بحيث يقضى كل منهما وقتا طويلا منعزلا عن الآخر بقدر الإمكان ، وفكر أيضا فى أنه لم يعد يشتاق إلى الإجازات الأسبوعية ، حيث اعتادت أن تجلس لساعات على الكنبة مع أقلامها الرصاص وملفاتها ، لدرجة جعلته يخشى أن يضع أغنية فى الكاسيت وكيف أن ذلك سوف يعتبر قلة ذوق . وفكر فى المدة الطويلة التى قضياها منذ آخر مرة نظرت فى عينيه بابتسامة ، أو همست باسمة فى تلك المناسبات النادرة قبل الذهاب للنوم .

اعتقد فى البداية ، أنهما سوف يجتازان هذه المرحلة ، وأنهما سوف ينجحان فى التغلب على الأمر كله بطريقة

أو بأخرى . لقد كانت فى الثالثة والثلاثين من عمرها ؛ قوية ، قادرة على الوقوف على قدميها مرة ثانية ، ولكن هذا لم يكن باعثا على العزاء ، وأخيرا كان شوكومار ينهض وهو يجذب نفسه من السرير فى وقت الغذاء تقريبا ، ويمضى مباشرة إلى الدور السفلى ، إلى براد القهوة ، ويصب لنفسه كوبا تركته له شوبا فى فنجان فارغ .

جمع شوكومار قشر البصل فى يديه ، وتركه يسقط فى صندوق النفايات ، فتح مياه الصنبور وغسل السكين ، ودعكها بنصف ليمونة بين أصابعه ليزيل رائحة الثوم ، وقد تعلم ذلك من شوبا ، كانت الساعة السابعة والنصف ، ورأى السماء من خلال النافذة ، مساحة سوداء ناعمة ؛ تلال من الجليد مازالت تحدد طريق السير ، ومع ذلك ، مازال الجو دافئا لدرجة تسمح للناس بالسير بدون قبعات أو قفازات ، فقد تساقط الثلج بكثافة ثلاثة أقدام خلال العاصفة الأخيرة ، واستمر الناس فى السير بشكل فردى خلال طرق منفردة ضيقة فى الجليد ، وكان ذلك عذرا طيبا لشوكومار لعدم مغادرة البيت ، وبعد ذلك تم توسعة الخنادق التى انسابت فيها المياه بسهولة إلى شبكات البالوعات الموجودة بجوار الرصيف .

قال شوكومار : لن تأتى الإضاءة إلاّ فى الساعة الثامنة ، وعلينا أن نتناول عشاءنا فى الظلام . قالت شوبا مقترحة : يمكن

لنا أن نضيء الشموع ، وفكت شعرها الذى اعتادت أن تلفه بعناية فوق مؤخرة عنقها خلال النهار ، وخلعت الحذاء القماشى من قدميها دون أن تهتم بوضعه فى مكانه ، وقالت : سوف استحم قبل أن ينتهى الضوء ، ثم توجهت إلى السلم الداخلى ، وضع شوكومار حقيبتها وحذائها بجانب الثلاجة ، لم تكن هكذا من قبل ، لقد اعتادت أن تعلق معطفها على الشماعة ، وحذاءها فى الدولاب ، وتسدد الفواتير بمجرد وصولها ، ولكنها الآن تتعامل كما لو كانت فى فندق ، إلى درجة أن الكراسى الكبيرة الصفراء الموجودة فى حجرة المعيشة والتى تتعارض مع لون السجادة التركى الزرقاء لم تعد تسبب لها إزعاجا ، وفى خلفية المنزل ، فى الرواق المسقوف ، مازالت الحقيبة البيضاء فوق عربة اليد مملوءة بالشرائط التى قررت ذات مرة أن تصنع منها حلية للستائر .

وبينما كانت شوبا تستحم تحت الدش ، ذهب شوكومار إلى حمام الدور الأول ، ووجد فرشاة أسنان جديدة فى علبتها تحت الحوض ، ولكن الشعيرات الصلبة الرخيصة سببت الأذى للثة ، وبصق بعض الدم فى الحوض ، وكانت شوبا قد اشترت مجموعة من فرش الأسنان خلال موسم التخفيضات ، ووضعتهم فى سلة فى حال ما إذا قرر بعض الزوار قضاء الليل عندهم فى آخر لحظة .

هذه هى شخصيتها ، كانت من النوع الذى يستعد للمفاجآت السارة والسيئة ، فإذا ما أعجبتها جونلة أو حافظة للنقود فإنها تشترى اثنين ، وهى تضع الحوافز والمكافآت التى تحصل عليها من عملها فى حساب منفصل باسمها ، ولم يضايقه هذا التصرف ؛ وهى بعكس شخصية والدته التى انهارت تماما بعد موت أبيه ، فقد تركت البيت الذى نشأ فيه وانتقلت عائدة إلى كالكوتا ، تاركة شوكومار وراءها ، ولذلك أعجب بشخصية شوبا المختلفة ، فقد أدهشته بشخصيتها وقدرتها على أن تفكر دائما فى المستقبل ، فحينما تذهب لشراء الأشياء ، فإنها تملأ حجرة الخزين بكميات إضافية من زيت الزيتون وزيت الذرة ، بحسب ما إذا كانوا سيطبخون طعاما إيطاليا أو هنديا .

ودائما يوجد صناديق كثيرة من المكرونة من مختلف الألوان والأنواع ، وأكياس من الأرز ، وكل الأنواع من لحوم الماعز والضأن التى تشتريها من الجزارين المسلمين فى السوق ؛ مقطعة أو مجمدة ومغلفة فى أكياس من البلاستيك ، وهكذا يدخلون كل يوم سبت فى متاهة اختيار السلع التى كان شوكومار يحسها بقلبه . وكان يراقبها – وهو غير مصدّق – وهى تشترى المزيد من الطعام ، وهى تسحب خلفها كمية كبيرة من الحقائب وتمر خلال الزحام ، وهى تجادل الصبية الصغار تحت شمس الصباح وهم يلتقطون الخرشوف ، والبلح ، والزنجبيل ، والبطاطا

ويلقونها فى الميزان ، ثم يقذفونها واحدة بعد الأخرى لشوبا ، وهى لا ترى بأسا فى أن تتزاحم مع الناس ، حتى حينما كانت حبلى ، فهى طويلة ، عريضة الكتفين ، ذات وركين قويين لدرجة أن طبيب الولادة أكد لها أن جسدها خلق من أجل الحمل والولادة ، وخلال عودتهما إلى المنزل ، أثناء مرورهما بمنحنى شارع تشارلز ، تعجبا من كمية الطعام التى اشتروها ولكن هذا الطعام لا يضيع هباء ، فحينما يفاجئهما الأصدقاء بالزيارة ، فإن شوبا تجهز الوجبات التى تستغرق نصف يوم من الأشياء المثلجة والمعلبة ، ولا تقدم وجبات رخيصة من المعلبات الجاهزة ، ولكنها تبادر لنقع اللحم أو السمك وتجهزه بالتوابل ، وتقلبه فى القدر الذى يغلى بالطماطم والخوخ المجفف ، وكانت أرفف المطبخ المليئة بالبرطمانات المصفوفة فوق الرفوف فى أشكال هرمية ، وهى تكفى لأن تبقى ليتذوقها أحفادهما ، ولكنهما أتيا عليها جميعها الآن ، فإن شوكومار مستمر فى الأخذ منها بشكل منتظم ؛ ليجهز الوجبات لكل منهما ، يملأ أكوابا من الأرز ، ويخرج أكياس اللحم ليذيب عنها أكوام الثلج ، ويفك تجميدها يوما بعد يوم ، كما يتتبع كتاب الطهى بعد ظهر كل يوم ، متتبعا إرشاداتها المكتوبة بالرصاص ، ليستعمل ملعقتين من بذور الكزبرة المطحونة بدلاً من ملعقة واحدة ، أو العدس الأحمر بدلا من العدس الأصفر ، وكل وصفة مكتوب عليها تاريخ

استعمالها لأول مرة ، ففى الثانى من إبريل ؛ قرنبيط بالشمر . وفى الرابع عشر من يناير تناولا الدجاج باللوز . ولم يكن يتذكر تواريخ تناول هذه الوجبات ، ولكنها مسجلة بنظام فى هذا الكتاب ، وكان شوكومار يستمتع بطهى الطعام ، إنه الشىء الوحيد الذى يجعله يشعر بأنه مفيد ، إذا لم يكن ذلك من أجله ، فإنه يعرف أن شوبا سوف ترحب بطبق من الحبوب فى وجبة الغذاء .

سوف يتناولان طعامهما الليلة بدون إضاءة ، وقد اعتاد كل منهما على أن يأخذ الطعام من الموقد مباشرة ، واعتاد هو أن يأخذ طبقه ويذهب إلى مكتبه ، ويترك الطعام يبرد قبل أن يلتهمه دون توقف ، بينما تأخذ شوبا طبقها وتذهب إلى حجرة المعيشة لتتفرج على عروض الألعاب ، أو لتصحح بروفاتها الطباعية بترسانتها من الأقلام الرصاص الملونة ، وكانت تذهب إليه فى وقت ما من المساء ، وحينما كان يحس باقترابها ، فإنه يترك العمل فى دراسته ويبدأ فى الكتابة على الآلة الكاتبة ، وكانت تضع يديها على كتفيه ، وتحملق معه فى شاشة الكمبيوتر ، وبعد دقيقتين كانت تقول : لا تجهد نفسك فى العمل ، ثم تذهب مباشرة إلى سريرها ، وكان ذلك يحدث مرة واحدة فى اليوم ، وكان ذلك شىء يثير الخوف فى نفسه ، فقد كان يعلم أنها ترغم نفسها على ذلك ، وأنها تقف لتنظر حولها فى الغرفة إلى

الحوائط المزدانة بالبط والأرانب التى تعزف على الطبول ، وكانا قد زيناها فى الصيف الماضى استعدادا لاستقبال المولود . وفى نهاية أغسطس وضعا سريرا صغيرا لونه وردى تحت النافذة ، ومائدة بيضاء بها أزرار خضراء ، وكرسيا هزازا فوقه وسائد ملونة ، وقد قام شوكومار بتفكيك كل هذه الأشياء قبل أن يحضر شوبا من المستشفى . وقام بحك البط والأرانب بملعقة خاصة . ولسبب ما لم تعد الحجرة تجذبه مثل شوبا . وفى شهر يناير ، حينما كف عن العمل فى المكتبة ، تعمد أن ينصب مكتبه هناك ؛ لأن هذه الحجرة أصبحت تهدئ أعصابه ، كما أن شوبا أصبحت تتجنبها .

عاد شوكومار إلى المطبخ وبدأ يفتح الأدراج ، وحاول أن يضع الشمع بين أطباق الفضية ومضارب البيض والهاون ويد الهاون التى قامت بشرائها من محل فى كالكوتا ، وكانت قد اعتادت أن تسحق فصوص الثوم وحبات الهيل فيها ، حينما كانت معتادة على أن تقوم بالطبخ . وجد بطارية فارغة دون حجارة ، ونصف دستة من صناديق الشمع الفارغة ، فقد فاجأته بعمل احتفال بعيد ميلاده أواخر يونيو الماضى ، ودعت إليه حوالى مائة وعشرين صديقا ، وهم الذين يحاولان تجنب لقائهم الآن ! كما وجد زجاجات من شراب الفن المسكر تعشش فى ركن الحمام ، وكانت شوبا فى شهرها الخامس حينما اعتادت أن

تشرب الزنجبيل من زجاجات المارتينى ، وكانت تضع الكعك بكريمة الفانيليا مع الكاستردة مع سكر غزل البنات ، وظلت طوال الأمسية تشبك أصابعها فى أصابع شوكومار وهى تمشى بين الضيوف أثناء الحفل .

ومنذ سبتمبر ، كان ضيفهما الوحيد هو أم شوبا ؛ لقد حضرت من أريزونا ، ومكثت معهما شهرين بعد عودة شوبا من المستشفى ، كانت تجهز العشاء كل ليلة ، وتدفع نفسها إلى السوبر ماركت لتغسل ملابسها ،وتحفظها بعيدا ، كانت امرأة متدينة ، لقد أقامت مزارا مقدسا صغيرا ،صورة داخل برواز ، بجوار المائدة فى حجرة الضيوف ، وكانت تصلى مرتين يوميا وتطلب من الله أحفادا أصحاء فى المستقبل ، كانت تعامل شوكومار بأدب وبطريقة رسمية ، لفت ملابسه بكل الخبرة التى اكتسبتها من عملها فى محل كبير لبيع الملابس ، وخاطت زرارا مكان الزرار الضائع فى معطفه ، وشغلت له كوفية بنية يتداخل فيها اللون البيج ، وقدمتها له دون أى مظهر احتفالى ، لم تتكلم معه عن شوبا ! مرة حينما ذكرت موت الطفل ، رفعت بصرها وقالت : ولكنك لم تكن حتى هناك !

شعر بنوع من الصدمة حينما لم يجد شمعا بالمنزل ، وكيف أن شوبا لم تقم بالاستعداد لمثل هذه الحالة الطارئة ، وأخذ يبحث عن شىء ما ليضع شموع عيد الميلاد فيه ، ويثبت بعضا

منه فى التربة الموضوعة فى زجاجة والتى غالبا ما تثبت على إفريز النافذة فوق حوض المطبخ ، حتى لو كان النبات الموضوع فيها على بعد بوصات قليلة من الحنفية ، وكانت التربة جافة لدرجة أنه كان عليه أن يرويها أولا قبل أن يثبت الشموع فيها . أزاح الأشياء الموضوعة على مائدة المطبخ جانبا ؛ أكوام المراسلات والكتب التى لم تقرأ حتى الآن ، تذكر حياتهما الأولى هناك ، حينما كانا لا يزالان يحسان بالإثارة لزواجهما ، ولمعيشتهما فى بيت واحد أخيرا ، لدرجة أنه كان من الأفضل لهما أن يحسا ببعضهما البعض أكثر من الأكل . فرش حصيرتين كانا هدية زواج من عمه ، ثم رتب الأطباق وكاسات النبيذ التى كانا يدخرانها للضيوف . وضع اللبلابة فى المنتصف ، بيضاء الحواف ، ذات الأوراق التى يأخذ شكل نجمة محاطة بعشر شمعات صغيرة ، وأدار الراديو ذا الساعة الرقمية وضبطه على إذاعة تبث أغانى الجاز .

حينما نزلت شوبا من الدور العلوى صاحت قائلة : ما كل هذا ؟؟ وكان شعرها ملفوفا فى فوطة بيضاء سميكة ، فكت الفوطة ونشرتها فوق كرسى وسمحت لشعرها الرطب الأسود أن ينسدل فوق ظهرها ، وأثناء عبورها ناحية الموقد أخذت قليلا من الطحالب البحرية بإصبعها ، لبست بنطلونا أبيض نظيفا ، وفانلة سبور ، ورويا من القطن ، وكانت بطنها قد ضمرت مرة ثانية ، وأصبح وسطها نحيفا بالنسبة لنصفها السفلى ، وعقدت

حزام الروب . كانت الساعة تقترب من الثامنة ، وضع شوكومار الأرز على المائدة ، ووضع العدس منذ الليلة السابقة فى فرن المايكروويف مثبتا الأرقام على الساعة الخاصة بتحديد الزمن . أخذ شوكومار قطعة من اللحم ، نزعها سريعا من بين أصابعه حتى لا يحرق نفسه ، وتحسس قطعة كبيرة بملعقة الغرف ليتأكد أن اللحم ينسلخ بسهولة من العظم ، ثم قال معلنا : لقد أصبح جاهزا . انطفأ جهاز المايكروويف حينما انقطعت الكهرباء وغابت الموسيقى . قالت شوبا : توقيت مضبوط . قال : لم أجد إلا شموع عيد الميلاد ، ثم أشعل الشموع التى تحيط شجرة اللبلاب محتفظا ببقايا الشموع وعلبة الكبريت فى طبقه . قالت وهى تمر بإصبعها على حافة الكأس : لا يهم ، إنها تبدو جميلة . وفى الظلمة ، كان يحس بطريقة جلوسها ، كانت تجلس للأمام قليلا على كرسيها وقدماها متعاكستان ، وكوعها الأيمن مسند على المائدة ، وخلال بحثه عن الشموع عثر شوكومار على زجاجة من النبيذ كان يظن أنها فارغة ، أمسك الزجاجة بين ركبتيه وهو يدير السدادة لينتزعها ، خشى أن ينسكب النبيذ ، ولذلك أمسك بالكاسات وقربها من فم الزجاجة ليملأها ، وبدأ كل منهما يعد لنفسه طبقه الخاص ، وحرك كل منهم شوربة الأرز بالشوكة ، بعد أن أضاف الثوم والقرنفل إلى الخليط ، وكان شوكومار يوقد مزيدا من الشموع كل بضعة دقائق

ويضيفها إلى التربة . قالت شوبا : كما لو كنا فى الهند ، وأضافت : أحيانا ينقطع التيار لساعات ، وكان علىّ أن أحضر ذات يوم احتفال الأرز فى الظلام ، وكان الطفل يكثر من البكاء بسبب حرارة الجو المرتفعة جدا .

إن طفلهما لم يبك أبدا ، مات ولم يعمل له حفل أرز قط ، بالرغم من أن شوبا قد أعدت قائمة بالضيوف ، وقررت أن تسأل واحدا معينا من إخوانها الثلاثة أن يذيق الطفل أول ملعقة من طعام صلب ، وذلك بعد ستة أشهر لو كان غلاما ، وبعد سبعة أشهر لو كانت فتاة .

سألها : هل تشعرين بالحرارة ؟ ودفع الموقد المتوهج إلى الناحية الأخرى من المائدة ، بالقرب من أكوام الكتب والبريد ، وكان من الصعب أن يرى أحدهما الآخر فى هذا التوقيت، وفجأة شعر بالقلق لدرجة أنه لم يستطع الصعود إلى الدور العلوى والجلوس أمام الكمبيوتر . قالت : إنه طبق لذيذ . وكانت تنقر فوق طبقها بالشوكة : حقا إنه لذيذ ! وأعاد ملء كأسها بالنبيذ ، فشكرته . لم يكونا بهذه الصورة من قبل ، إن عليه الآن أن يناضل ليقول شيئا يجذب اهتمامها ، شيئا يجعلها ترفع عينيها من طبقها ، أو من الملفات التى تقوم بتصحيحها ، وأخيرا ، قرر أن يستسلم ويكف عن محاولة التسرية عنها ، وتعلم أن لا يمانع فى أن يسود الصمت بينهما . قالت : أنا

أتذكر حينما كنا فى بيت جدتى ، إنه كان من الواجب علينا أن نقول شيئا ما . لم يكن يستطيع أن يرى وجهها جيدا ، ولكن من خلال نغمة كلامها ، عرف أن عينيها تضيقان ، كما لو كانت تحاول أن تركز على شىء ما من مسافة بعيدة ، كانت تلك عادتها . قال : مثل ماذا ؟ قالت : لست أدرى ؛ قصيدة قصيرة ، نكتة حقيقة عن العالم ، ولسبب ما فإن أقاربى كانوا دائما يريدون منى أن أخبرهم بأسماء أصدقائى فى أمريكا ، ولم أكن أعرف لماذا تهمهم مثل هذه المعلومات ، وفى آخر مرة رأيت فيها عمتى ، سألت عن أربع بنات كن معى فى المدرسة الابتدائية فى توكسون ، وأنا لا أكاد أتذكرهم الآن . لم يقض شوكومار وقتا طويلا فى الهند مثل شوبا ، وقد اعتاد والداه اللذان استقرا فى نيو هامبشاير أن يعودا إلى الهند بدونه ، ففى المرة الأولى التى ذهب فيها إلى الهند وهو طفل كاد أن يموت من إصابته بالدوسنتاريا الأميبية ، ووالده من النوع العصبى المزاج أصبح خائفا من أن يأخذه إلى هناك مرة ثانية تلجنبا لحدوث شىء من هذا النوع ، واعتاد أن يتركه مع عمه وعمته فى كونكورد . وكفتى مراهق ، كان يفضل أن يقضى الصيف فى المعسكرات البحرية ، أو يبيع الآيس كريم عن أن يذهب إلى كلكتا . ولم يستمر ذلك بعد وفاة والده وهو فى السنة الأخيرة من دراسته الجامعية ، حيث بدأت بلاده تجذب انتباهه ، وبدأ

فى دراسة تاريخ هذه البلاد من خلال الكتب ، كما لو كان ذلك أى موضوع آخر ، وتمنى لو كان يستطيع أن يحصل على قصة طفولته فى الهند .

قالت له فجأة : لنفعل ذلك . قال : لنفعل ماذا ؟ قالت : نقول شيئا ما لبعضنا في الظلام . قال : مثل ماذا ؟ أنا لا أعرف أى نكات . قالت : لا ، ليست النكات . وبعد أن فكرت لبرهة قالت : ما رأيك أن نقول لبعضنا أشياء لم نقلها أبدا فى الماضى ؟ قال شوكومار : لقد اعتدت أن ألعب هذه اللعبة فى المدرسة الثانوية حينما أكون قد سكرت . قالت : أنت تفكر بجرأة وبصدق ، هذا شىء مختلف ، أوكى ، سوف أبدأ أنا ، ثم تناولت رشفة من كأسها : فى أول مرة اختليت فيها بنفسى وأنا فى شقتك ، نظرت فى مذكرة العناوين الخاصة بك لأرى إن كنت قد كتبت اسمى فيها ، كنت أعتقد أنه يجب علينا أن نعرف بعضنا فى خلال أسبوعين .

قال : وأين كنت أنا ؟ قالت : كنتَ قد ذهبت إلى الغرفة الأخرى لتجيب على التليفون ، لقد كانت أمك هى التى تتكلم ، وخمنت أن المكالمة ستطول ، لقد أردت أن أعرف إن كنت قد رفعت مكانتى عندك عن مكانة المعارف . قال : وهل فعلت ؟ قالت : لا ، ولكننى لم أستسلم لذلك ، والآن جاء دورك . لم يستطع التفكير فى أى شىء ، ولكن شوبا كانت فى انتظار كلامه

ولم يظهر عليها أنها مصممة ، ما الذى تبقى ليقال لها ؟ لقد فكر فى لقائهما الأول منذ أربع سنوات مضت فى قاعة محاضرات كامبريدج ، حيث كان مجموعة من الشعراء البنغال يلقون قصائدهم . لقد جلسا بجوار بعضهما على كراسى خشبية من النوع الذى ينطوى ، وسريعا ما أحس شوكومار بالملل ، إذا لم يكن قادرا على كشف الغموض فى الأسلوب الشعرى ، كما لم يكن قادرا على الانضمام إلى بقية الحضور الذين يتنهدون ويؤمّنون بعد كل مجموعة من الأبيات ! وبينما هو يحملق فى جريدته المطوية فى حجره ، عرف درجات الحرارة فى عدة مدن من مختلف أنحاء العالم فكانت واحدة وتسعين درجة فى سنغافوره بالأمس ، وفى استوكهولم واحدة وخمسين درجة ، وحينما أدار رأسه إلى اليسار وجد امرأة تجلس بجواره تخطط قائمة بمشتروات البقالة ، وشعر بشىء من الروعة حينما وجدها جميلة . قال وهو يتذكر : وهو كذلك ، فى أول مرة خرجنا سويا لتناول العشاء فى مطعم برتغالى نسيت أن أدفع بقشيشا للنادل ، فعدت فى الصباح التالى وعرفت اسمه وتركت له نقودا مع المدير . قالت : لقد قطعت هذا الطريق الطويل عائدا فقط من أجل أن تعطى بقشيشا ؟ قال : لقد ركبت تاكسيا . قال : ولماذا نسيت أن تعطيه البقشيش ؟

احترقت شموع عيد الميلاد ، ولكنه كان يتصور وجهها بوضوح خلال الظلام ؛ العيون الواسعة الحوراء ، الشفاه

الممتلئة ، والعلامة التى تبدو كفاصلة على ذقنها من أثر وقعة وهى فى سن الثانية من عمرها .

وكان شوكومار يلاحظ فى كل يوم أن الجمال الذى سحره ذات مرة يشحب تدريجيا ، وأن مستحضرات التجميل أصبحت ضرورية الآن ! ليس من أجل تحسين صورتها ولكن من أجل تحديد ملامحها . وقال : وعند نهاية الوجبة انتابنى شعور غريب بأننى يمكن أن أتزوجك . قال ذلك كمن يعترف للمرة الأولى لنفسه قبل أن يكون لها ، وأضاف : لقد أذهلنى هذا الشعور .

فى الليلة التالية ، عادت شوبا إلى المنزل مبكرا عن المعتاد . كان يوجد لحم بقرى تبقى من المساء السابق ، وقام شوكومار بتسخينه حتى يمكن لهما تناول الطعام فى السابعة ، لقد خرج من منزله فى هذا اليوم خلال الجليد الذائب واشترى مجموعة من الشموع والبطاريات من المحل المجاور ؛ جهز الشموع بوضعها فى شمعدانات نحاسية على شكل زهرة اللوتس ولكنهما تناولا طعامهما على ضوء مصباح معلق فى السقف فوق المائدة ، وبعد الانتهاء من الطعام ، اندهش شوكومار حينما رأى شوبا تضع طبقها فوق طبقه وتحملهما إلى حوض المطبخ ، وافترض أنها ستذهب إلى حجرة المعيشة لتقبع خلف ملفاتها . قال : لاتحملى هما بالنسبة للأطباق ، وأخذ الأطباق من يدها .

أجابت : إن ذلك شىء سخيف ، ثم صبت قطرة من سائل

منظف على قطعة الإسفنج وأضافت : إنها تقريبا الساعة الثامنة . تسارعت دقات قلبه ، لقد انتظر شوكومار طوال اليوم انقطاع الكهرباء ، وقد فكر فيما قالته شوبا فى الليلة السابقة بخصوص تحريها فى مفكرته الخاصة بالعناوين ، لقد أحس بالسعادة حينما تذكرها فى ذلك الوقت ، وتذكر كم كانت جريئة ومتوترة الأعصاب حينما التقيا أول مرة ، وكم كانت مفعمة بالأمل ، وقفا بجانب بعضهما أمام الحوض ، وامتد نظرهما سويا عبر النافذة ، لقد شعر بالخجل من إحساسه حينما وقف أول مرة أمام المرآة ، ولم يستطع أن يتذكر المرة الأخيرة التى وقف فيها أمام عدسات التصوير سويا ، فقد كفا عن حضور الحفلات أو عن الخروج مع بعضهما حتى أن الفيلم الموجود بالكاميرا مازال يحمل صورا لشوبا أثناء الحمل ، وبعد الانتهاء من غسل الصحون ، وقفا يجففان أيديهما فى طرفى الفوطة ، وأظلم المنزل فى الثامنة ، وأشعل شوكومار فتائل الشموع وهو متأثر باللهب الثابت الطويل . قالت شوبا : لنجلس فى الخارج ، أعتقد أن الجو مازال دافئا ، أخذ كل واحد منهما شمعة وجلسا على درجات السلم . وكان منظرا غريبا أن يجلسا فى الخارج ومازالت كتل من الجليد على الأرض ، ولأن الجميع كانوا خارج بيتهم الليلة ، فالهواء كان منعشا بدرجة تجعل الناس يشعرون بالقلق ، فالأبواب ما تلبث أن تفتح ، ثم تغلق ،

والمواكب الصغيرة من الجيران تمر بهم وقد حملوا بطاريات الإضاءة .

هتف رجل ذو شعر فضي : إننا ذاهبون إلى المكتبة لتصفح بعض الكتب . كان ماشيا مع زوجته وهي امرأة نحيفة تلبس سترة جلدية قصيرة ، وتمسك كلبا في مقود . إنهم آل برادفورد ، لقد أرسلوا لهما بطاقة تهنئة في سبتمبر الماضي ردا على رسالة مماثلة ؛ قالت : لقد سمعت أنهم استعادوا مركزهم ؛ قال شوكومار من الأفضل ذلك ، وأضاف : وإلا فإنكم سوف تتصفحون الكتب في الظلام . ضحكت المرأة وهي تسحب ذراعها من كوع زوجها

وقالت : هل تريدون الانضمام إلينا ؟ قال كل من شوبا وشوكومار معا : لا ، شكرا . واندهش شوكومار لمطابقة كلماته لكلمات زوجته . وأخذه العجب مما يمكن أن تقول له شوبا في الظلام ، ودار في رأسه أسوأ أنواع الاحتمالات مثل أن تكون قد كونت علاقة غرامية مع شخص آخر ، أو أنها لم تعد تحترمه لكونه قد وصل إلى سن الخامسة والثلاثين ومازال طالبا ، أو أن تلومه على بقائهما في بلتيمور ، مثلما كانت والدتها تفعل ، ولكنه كان يعرف أن هذه الظنون ليست حقيقية ، إنها زوجة مخلصة مثله تماما ، وهي تثق فيه ، وأنها هي التي أصرت على الذهاب إلى بلتيمور .

ما الذي يعرفان عن بعضهما ؟ لقد عرف عنها أنها تضم

أصابعها عند النوم ، وأن جسمها ينتفض خلال الكوابيس ، وأنها تقدم الشمام بالعسل ، وأنهما حينما عادا من المستشفى ، كان أول شىء تعمله هو أن تجمع أشياءهما فى كومة فى الصالة ، والكتب من الأرفف ، والنباتات من أصص النوافذ ، واللوحات من على الحوائط ، والصور من على الموائد ، والبرادات والحلل من علاقاتها فوق الموقد ، وابتعد شوكومار من طريقها وهو يراها تتحرك بطريقة أسطورية من حجرة إلى حجرة ، وحينما اكتفت بجمع الأشياء ، وقفت لترى هذه الكومة الهائلة ، وافترت شفتاها عن شعور بالاستياء لدرجة أن شوكومار ظن أنها سوف تبصق ، ولكنها بدأت فى البكاء بصوت عال .

بدأ يحس بالبرودة وهو جالس على السلم ، وشعر أنه يريدها أن تتكلم أولا حتى يتبادل عواطفه معها . وأخيرا قالت : فى تلك المرة ، حينما جاءت أمك لزيارتنا ، حينما قلت فى إحدى الليالى أننى سوف أتأخر فى العمل ، خرجت مع چيليان وتناولنا المارتينى . نظر إليها ، ورأى أنفها المنزلق ، وفكها الحاد . إنه يتذكر هذه الليلة جيدا ، حينما تناول الطعام مع والدته متعبا من التدريس لفصلين ، متمنيا لو أن شوبا كانت موجودة ، لقد مرت اثنتا عشرة سنة على وفاة والده ، وقد حضرت والدته لتقضى أسبوعين معه ومع شوبا حتى يمكن الاحتفال بذكرى والده سويا . ففى كل ليلة كانت أمه تطهو نوعا من الطعام الذى كان والده يحبه ، ولكنها كانت مستاءة

لاضطرارها لأن تأكل هذا الطعام وحدها ، وكانت عيناها تتابعان يدى شوبا وهى تعمل .

قالت شوبا : إنه شىء مؤثر جدا . والآن هو يتصور شوبا مع چيليان فى بار ذى أثاث بنفسجى وبه خطوط لونية ، نفس البار الذى اعتادا على الذهاب إليه بعد خروجهما من السينما ، وبعد أن تتأكد من حصولها على المزيد من الزيتون وتطلب سيجارة من چيليان ، تخيلها وهى تشكو من زيارة حماتها ، وچيلين تطيب خاطرها ، خصوصا وقد كان هو الذى أخذها إلى المستشفى فى عربته . قاطعت تيار أفكاره وهى تقول : دورك الآن . سمع شوكومار أصواتا آتية من حفار ورجال الكهرباء يتصايحون فوقه ، نظر إلى واجهات المنزل المظلمة والتى تحدد الشارع ، ولمعت أضواء الشموع فى نافذة أحد المنازل ، وتصاعد الدخان من المداخن بالرغم من دفء الجو .

قال : لقد قمت بالغش فى امتحان الحضارة الشرقية فى الكلية ، كانت المرة الأخيرة لى ، وكان آخر امتحان ، وكان والده قد توفى من شهور قليلة ، وكنت أستطيع أن أرى كتاب الامتحانات الأزرق مع زميل يجلس بجانبى . وكان أمريكيا مختل العقل ، وكان يعرف اللغة الأردية واللغة السنسكريتية ، ولم أستطع أن أتذكر إذا ما كان الشعر الوارد فى الامتحان نوعا من الغزل أم لا ، فنظرت إلى إجابته ، ثم قمت بنقلها . حدث ذلك منذ خمسة عشر عاما ، ولكنه شعر بالراحة بعد أن أخبرها

بذلك . استدارت إليه ، ولم تنظر إلى عينيه ، ولكنها نظرت إلى حذائه الذى يرتديه كما لو كان شبشبا للبيت . أخذت يده وضغطت عليها وقالت : لست فى حاجة لأن تخبرنى لماذا فعلت ذلك . واقتربت منه أكثر . جلسا معا حتى الساعة التاسعة حينما عاد التيار فسمعا تصفيقا لبعض الناس يأتى لهم عبر الشارع ، وبدأت التليفزيونات تعمل ، وعاد آل برادفورد يأكلون الآيس كريم ويلوحون لمعارفهم ، ورد عليهم شوكومار وشوبا بتلويحات مماثلة ، ثم وقفا ، ويده ماتزال فى يدها ، ثم دخلا إلى منزلهما .

وهكذا ، انقلبت الحال ، بطريقة ما إلى نوع من تبادل الاعترافات ، وهى طريقة بسيطة لإيذاء كل منهما الآخر ، بل ولإيذاء نفسيهما . وفى اليوم التالى ، ظل شوكومار يفكر لساعات طويلة فى ماذا سيقول لها . فقد كان موزعا ما بين الاعتراف بأنه ذات مرة قطع صورة رآها فى إحدى مجلات الموضة واحتفظ بها فى كتبه لمدة أسبوع . أو أن يقول إنه لم يفقد السويتر الذى اشترته له فى ذكرى زواجهما الثالث ولكنه باعه ، وذهب ليشرب الخمر وحده فى بار بأحد الفنادق فى منتصف النهار . وفى عيد زواجهما الأول ، أعدت شوبا طعاما لعشرة أفراد له وحده ، كما أهدته سويتر ، شكا حاله للبارمان قائلا : لقد أهدتنى زوجتى سويتر فى عيد زواجنا . وكان رأسه ثقيلا من الكونياك . فأجابه البارمان : وماذا تتوقع ؟ فأنت رجل متزوج .

وبالنسبة لصورة المرأة ، فلم يعرف بالضبط السبب الذى دعاه ليقطعها . فلم تكن فى جمال شوبا ، وكانت ترتدى ثوبا أبيض ، ذات وجه عابس نحيل ، وقدمين رجوليتين ، وذراعيين مرفوعين . وقد وضعت قبضتيها حول رأسها ، كما لو كانت تكلم نفسها فى أذنيها ، وكان ذلك فى إعلان ، وكانت شوبا قد حملت فى ذلك الوقت ، وقد تضخمت بطنها بشكل مفاجئ ، لدرجة أن شوكومار لم يعد يريد أن يلمسها ، وكانت المرة الأولى التى يرى فيها الصورة ، حيث كان مستلقيا بجوار شوبا ينظر إليها وهى تقرأ . حينما لاحظ المجلة ووجد صورة المرأة ، وقطع الورقة بأقصى ما يمكن من الحذر . ولمدة أسبوع كان يسمح لنفسه بالنظر إليها مرة كل يوم ، وشعر برغبة عارمة نحو هذه المرأة ، ولكنها رغبة سريعا ما تتحول إلى اشمئزاز بعد دقيقة أو اثنتين . وفى الليلة الثالثة ، أخبر شوبا بموضوع السويتر ، وفى الرابعة قال لها على مسألة الصورة . ولم تتفوه بشىء أثناء كلامه ، ولم تبد أى اعتراض ، لقد استمعت ببساطة ، ثم أخذت يده وضغطت عليها كما فعلت من قبل ذلك . وفى الليلة الثالثة أخبرته أنها ذات مرة ، وبعد نهاية المحاضرة التى كانا يستمعان إليها ، تركته يتحدث مع رئيس القسم بدون أن تخبره أنه يوجد على ذقنه قطعة صغيرة من الفطير ، كانت غاضبة منه لسبب ما ، ولذلك تركته يستمر فى محاولته لتأمين بعثته للفترة القادمة دون

أن تضع إصبعها على ذقنها كعلامة ، وفى الليلة الرابعة ، قالت إنها لم تعجب بالقصيدة الوحيدة التى نشرها فى حياته فى مجلة أدبية فى أوتاوا ؛ لقد كتب القصيدة بعد لقائه مع شوبا وأضافت إنها قصيدة عاطفية .

لقد حدث شىء ما عندما أصبح البيت مظلما ، لقد أصبح فى إمكانهما أن يتحدثا مع بعضهما مرة ثانية . ففى الليلة الثالثة بعد العشاء ، جلسا على الكنبة ، وحينما حل الظلام بدأ يقبلها فى وجهها وجبهتها ، وبالرغم من الظلمة فقد أغلق عينيه وعرف أنها أغلقت عينيها أيضا ، وفى الليلة الرابعة ، صعدا سويا إلى الدور العلوى إلى السرير ، وشعر كل منهما عند خطواتهما الأخيرة بأن اليأس الذى ران عليهما قد انتهى ، لقد بكت بدون صوت وهمست باسمه ، وتلمست رموش عينيه بأصابعها خلال الظلام ،وكان يفكر فى الشىء الذى يمكن أن يقوله لها فى الليلة المقبلة ، وماذا يمكن أن تقول ؟ وكان التفكير فى ذلك مثيرا ، قال لها : أمسكينى ، واحضنينى بين ذراعيك . وفى الوقت الذى عادت فيه الإضاءة ، كانا قد راحا فى النوم . وفى صباح الليلة الخامسة ،وجد شوكومار رسالة فى صندوق البريد من شركة الكهرباء تفيد أن الخط الكهربائى قد تم إصلاحه ، شعر بخيبة أمل ، لقد كان فى نيته أن يطبخ الجمبرى لشوبا ، ولكنه بعد أن وصل إلى المتجر ، شعر بأنه لم يعد يرغب فى المزيد من الطبخ ، فلم يعد الأمر كما هو ؛ إذ ذهب تفكيره إلى أن معرفة

أن الإضاءة لن تنقطع شيء آخر ؛ ووجد الجمبرى رماديا ورفيعا ، ووجد علبة لبن جوز الهند غالية الثمن ومتربة ، ومع ذلك فقد اشترى منهما بالإضافة إلى الشمع وزجاجتين من النبيذ .

عادت إلى البيت فى السابعة والنصف ، ولما رآها تقرأ رسالة شركة الكهرباء قال : أعتقد أن فى هذا نهاية للعبتنا . قالت : يمكن أن نستمر فى إضاءة الشموع إذا كنت تريد . ولم تذهب إلى النادى هذه الليلة ، كانت تلبس بدلة أسفل معطف المطر ، وقد أعادت إصلاح زينة وجهها . وحينما صعدت إلى الدور العلوى لتبدل ملابسها صب شوكومار لنفسه كأسا من النبيذ ، وأدار جهاز التسجيل بعد أن وضع ألبوم ثيلينيوس مونك الذى يعلم أنها تحب موسيقاه ، وتناولا طعامهما بعد أن نزلت من الدور العلوى ، لم تشكره ولم تحييه ، ولكنهما أكلا فى حجرة مظلمة على ضوء الشموع .

لقد مر عليهما وقت عصيب أجهزا على الجمبرى كما أجهزا على زجاجة النبيذ الأولى وانتقلا إلى الزجاجة الثانية ، وجلسا سويا حتى كادت الشموع تنتهى ، فحركت كرسيها وظن شوكومار أنها على وشك أن تقول شيئا ما ، ولكنها أطفأت الشموع ، وأضاءت الكهرباء ، وجلست مرة ثانية ، سألها شوكومار : ألا يجب أن نطفئ النور ؟ أزاحت طبقها جانبا

وشبكت يديها فوق المائدة وقالت برقة : أنا أريدك أن ترى وجهى وأنا أقول ما يلى . وبدأ قلبه يدق ، ففى اليوم الذى أخبرته فيه بحملها استخدمت نفس الكلمات ، وبنفس الطريقة الرقيقة ، مغلقة التليفزيون على مباراة كرة السلة التى كانت تتفرج عليها .

ولم يكن هو مستعدا فى ذلك الوقت ، أما الآن ، فإنه على استعداد لسماعها ، وكل ما فى الأمر أنه لا يريدها أن تحمل مرة ثانية ، ولم يكن يريد أن يتظاهر بأنه سعيد . قالت : لقد كنت أبحث عن شقة منذ فترة ، وقد وجدت واحدة . قالت ذلك وهى تضيق عينيها وكأنها تركز على شيء ما ، وبدا الأمر كأنه حدث من خلفه ، إنها ليست غلطة أحد ، واستمرت قائلة : لقد مرا بوقت عصيب وكاف ، وهى تحتاج إلى فترة تقضيها وحدها ، وأن لديها أموال كانت قد ادخرتها ، والشقة تقع فى (بيكون هيل) ولذلك فهى تستطيع السير حتى مكان العمل ، وأنها وقعت العقد تلك الليلة قبل أن ترجع إلى البيت ، لم تنظر إليه ، ولكنه حملق فيها ، فقد كان واضحا أنها حددت ما تريد . لقد كانت تبحث عن شقة طوال هذا الوقت ، وتختبر ضغط المياه ، وتسأل إن كانت المياه الدافئة وتدفئة الشقة يحتسبان ضمن الإيجار ، لقد أحس شوكومار بالمرض لمعرفته أنها كانت تقضى الأمسيات الماضية وهى تجهز نفسها للحياة بدونه ، شعر أولا

بالارتياع ، ثم بالمرض ، فهذا ما كانت تحاول أن تخبره به طوال الليالى الأربع الماضية ، لقد كان هذا هو الهدف من اللعبة . وقد جاء الآن الوقت ليتكلم ، هناك شيء كان قد أقسم ألا يخبرها به ، ولمدة ستة أشهر كان يبذل كل ما فى وسعه ليزيحه من ذهنه ، فقبل أن تقوم بعمل الأشعة كانت قد طلبت من الطبيب ألا يخبرها بجنس الطفل ، ووافق شوكومار على ذلك ، لقد أرادت أن يكون ذلك مفاجأة .

وبعد ذلك ، فى المرات القليلة التى تكلما فيها عما حدث ، قالت إنهما على الأقل وفرا هذه المعلومات بطريقة جعلتها تفتخر بقرارها ؛ لأن ذلك مكنها من أن تلجأ إلى الغموض ، وعرف أنها كانت تفترض أن هذا الموضوع سر بالنسبة له أيضا . وكان عليه أن يصل متأخرا من بلتيمور حينما انتهى كلى شيء ، وكانت هى تنام فى سرير المستشفى ، ولكنه وصل مبكرا بوقت كاف ليرى ابنهما ، وليحمله قبل أن يحرقوا جثته ، تردد فى البداية ، ولكن الطبيب قال أن احتضانه للطفل يمكن أن يساعد على تجاوز حزنه عليه ، وكانت شوبا نائمة ، وكانوا قد غسلوا جسد الطفل . قال لها : طفلنا كان ولدا . وكان جلده أكثر احمرارا من البنى ، ولكن له شعر أسود ، ووزنه حوالى خمسة أرطال ، وأصابعه كانت مغلقة ، مثلك تماما فى الليل . نظرت إليه شوبا . وقد تلوى وجهها من الأسى ، لقد غش فى امتحان

الكلية ، مزق صورة امرأة من المجلة ، أعاد السويتر إلى بائعه وشرب بثمنه الخمر فى وضع النهار ، كانت هذه هى الأشياء التى أخبرها بها ، كما أنه حمل ابنه الذى عرف الحياة معها وقربه من صدره فى جناح مجهول من المستشفى . لقد حمله حتى جاءت ممرضة وأخذته منه ، وقد وعد نفسه فى ذلك اليوم بأنه لن يخبرها بذلك ؛ لأنه كان لا يزال يحبها حتى ذلك الوقت ، وكان هذا هو الشىء الوحيد فى حياتها التى أرادت أن تجعله مفاجأة .

وقف شوكومار ووضع طبقه فوق طبقها ، وحمل الأطباق إلى الحوض ، وبدلا من أن يفتح الحنفية وقف ينظر خارج النافذة . كان الجو لا يزال دافئا ، وكانت عائلة برادفورد تسير والذراع فى الذراع . وبينما يراقبهما أظلمت الحجرة ، وشعر بدوخة . وأطفأت شوبا النور ، وعادت إلى المائدة وجلست ، وانضم إليها شوكومار بعد برهة ، وانطلقا فى البكاء معا من أجل الأشياء التى يعرفانها الآن .

* * *

قصة ناسك

قصة : ريك باز

تسببت العاصفة الثلجية والأيام السبعة التى هطل فيها الجليد بعدها ، فى أن تتحول الحقول والتلال إلى ملاءات ثلجية ثقيلة ، تلمع وتومض بالزرقة فى ضوء القمر ، كما لو أن اللون لا تشكله فقط انكسارات وانعكاسات الضوء ، ولكن تشارك فى ذلك أيضا بعض ردود الفعل الكيمائية المشتركة مع الثلج اللامع الثقيل ، كما لو كان منبع هذه الزرقة يقبع فى مكان ما ، هنا ، فى الشمال ويكمن لب هذا اللون تحت واحد من هذه الحقول المتجمدة . وكما لو كانت الزرقة هى شيء ينبثق - فى بعض بقاع من العالم - من الروح نفسها ، بعد أن تغيب الشمس .

الزرقة تزحف على الشقوق والصدوع من عمق عدة مئات من الأقدام ، والزرقة تشق طريقها من التماع ضلوع كلاب (آن) المدفونة وهى تزحف مثل الدخان من محاجر العيون الخاوية وأماكن الأنوف الفارغة ، والزرقة تنهض - مثل الدخان من المداخن - حتى تصل إلى السطح ، وتنتشر بشكل جانبى وتتحرر من المقابر أو الفخاخ ، ومع ذلك فهى تبقى حية ، ومليئة بالدخان ، خلال هذه الحقول الجليدية التى يغطيها ضوء القمر . الزرقة مثل عطر محبوس فى الثلج ، فى انتظار انطلاقة مريحة ، أو بعض الدفء ، حتى يمكن أن يستمر فى الانتشار .

إنه عيد الشكر ، وأنا وسوزان مدعوان على الغذاء فى منزل آن وروجر ، وقد تسببت العاصفة فى خمود كل شيء فى

المدينة ، فهى ليلة صافية ، باردة ، مليئة بالنجوم . ولو أنك تسلقت أحد هذه الجبال وأنت تلبس أحذية التسلق ، ونظرت لمسافة أربعين ميلا فى اتجاه الجنوب ، حيث توجد المدينة ، فبدلا من رؤية الأضواء المتلألئة المعتادة ، كما لو كانت نجوما غارقة فى قاع البحيرة ، ولكنها ما تزال تلمع ، فإنك لن تستطيع أن ترى شيئا إلا الظلمة ، فراغا من الصمت والظلمة فى توازن عجيب مع الجبال ، ونحن لا نتسلق الجبال فى أحذية التسلق لننظر إلى المدينة المظلمة فى الأسفل ، ولكن يمكن القول أنه لا يوجد وهج خافت فوق الجبال ، لدرجة أن عيد الشكر هذا يمثل عند أهل المدن ما يمثله لنا نحن الذين نعيش فوق الجبال ، مع أن الأجازة تسبب ارتياحا أقل لأهل المدن .

أشعلنا الفوانيس والشموع ، وكذلك الأفران كما هى عادتنا طوال الشتاء والربيع . وكانت كلاب (آن) ترقد فى أماكنها ، تتنفس الضوء الأزرق الذى ينبعث من الهياكل العظمية لأسلافهم المدفونة أسفل منهم وحولهم ، وكانت رائحة شرائح اللحم المخزون تنبعث ضعيفة من القبو ، وقد انتهينا للتو من أكل فطيرة الشيكولاتة وشرب ثلاث زجاجات من النبيذ . روجر ، الذى لا يعرف القراءة ، يحاول أن يفحص الزجاجات الفارغة وقراءة الكلمات المكتوبة عليها ، ويتعرف على بعض الكلمات مثل (ال) ، (فى) ، (الولايات المتحدة الأمريكية) ، وربما يستطيع تعلم قراءة هذه الكلمات .

لدى آن قصة تحكيها لنا ، عن واحد من زبائنها القلائل ، شخص اسمه جراى أويل ، من كندا ، كان لديه نصف دستة من كلاب الصيد الألمانية المنقطة قصيرة الشعر ، استأجر آن لتدريبها جميعا على وجه السرعة ، لقد كان ذلك منذ عشرين عاما مضت ، آخر عمل جيد قامت به .

لقد استغرق منها هذا العمل طوال فصلى الصيف والخريف ، وأصبحت الكلاب جاهزة للعمل فى الحقول ، واصطحبت هذه الكلاب عائدة إلى جراى أويل - خلال طريق ساسكاتشيوان - فى شاحنتها القديمة (حتى فى ذلك الوقت) طوال يوم وليلة ، مكدسة الكلاب بعضها فوق بعض ، وكانت الكلاب تصدر شخيرا وهى نائمة فى حضن آن ، وفوق الكراسى ، وعلى أرضية الشاحنة ، وإنه لمن الغريب أن المرء يمكن أن يعد على أصابع اليد الواحدة عدد الذين يمكن أن يقوموا بمثل هذا العمل لكسب عيشهم ، فلديهم إحساس قوى بالهدوء والاستسلام للحزن ، كما أنهم يحسون بجمال الحيوانات المعقد فى هذا العالم . وشخص أكاديمى مثلى عليه أن يشير إلى هذا الإحساس على أنه ثقة بيولوچية . ومن المؤكد إننى أعتقد أن كلمة أخرى يمكن أن تهبنى السلام كانت آن تصطحب الكلاب لترى جراى أويل طريقة التعامل معها ، ومع مواهبها التى أظهرتها أخيرا . كان يمكنها أن تكون مثَّالة

أو فنانة من نوع آخر ، كانت تتحدث عن عملها هذا كما لو كانت الكلاب مجرد كتل صماء من الحجارة ، تحتوى على الشكل الذى ينتظر فنانة مثلها لكى تطلقها وتحررها ،جميلة فى هذا العالم ، لقد استطاعت أن تحول الكلاب فى خلال ستة أشهر من كلاب شرسة سريعة الوثب إلى ستة من العباقرة ، وقد أرادت أن ترى صاحبها كيف يتعامل معها ، أو على الأصح أى الصفات يجب عليه أن ينميها وأيها يجب عليه أن لا يشجعها . قالت آن يوجد هدف من وراء تدريب الكلاب - بعكس الأعمال الفنية المنفذة بالحجر أو اللون التى تغطى بطبقة من الكيتين ، وهى نوع من الأكاسيد ، وهى تحتاج لشخص أقل إحساسا منها وأقل صبرا ومعلومات ، كما لو كان يوجد هدف فى العالم من أجل الكلاب أعظم من أن يختفى فى الحجر . ولذلك انطلقت إلى هناك ، لتعطى كلا من الكلاب وجراى أويل فترة اختبار .

لقد كانت تسوق الشاحنة وهى تشغل الدفاية وتغلق النوافذ ، وكان الهواء الكندى منعشا ، وأكثر نقاء كلما اتجهت شمالا . وكانت تستطيع أن تشم عطر الفراء والأشجار الصنوبرية ، والأشجار المائية الرطبة ، وأوراق أشجار القطن تحت أقدام عديدة من الجليد . ضحكنا معها حينما قالت ذلك ، ولكنها أخبرتنا أنها وهى هناك فى كندا كانت تستطيع أن تتذوق طعم السمك فى الجداول أثناء سير الشاحنة بجوار الأنهار والمجارى المائية .

كانت تستمع إلى الإذاعة الوحيدة التى كان يمكن للراديو التقاطها أثناء القيادة ، ولكنها كانت إذاعة جيدة . ووصلت إلى مكان جراى أويل حوالى منتصف الليل . وكانت لديه كابينة صغيرة للضيوف ولكنه لم يقم بتشغيل نظام التدفئة من أجلها ، لأنه لم يكن متأكدا من يوم وصولها ، ولذلك ، نامت هى والكلاب الستة معا على مرتبة باردة تحتهم على كومة من جلود الحيوانات ، فهى ليلتهم الأخيرة سويا ، لقد أحضرت معها صندوقا من السمان من أجلهم ، وأوقدت نارا صغيرة فى الموقد ، ووضعت الصندوق بجوارهم . وبات السمان وهو يغمغم بصفاقة طوال الليل ، والموقد يصدر فرقعة وهسيسا ، ونامت آن والكلاب لمدة اثنتى عشرة ساعة كاملة ، كما لو كانوا يغوصون فى زمن آخر ، أو كما لو كان كل واحد آخر فى العالم قد غاص فى زمن مغطى بالحجر ، وكما لو كانت هى والكلاب من الرواد ، أو المتبقين من نوع ما من المخلوقات لاكتشاف الحاضر ، أحياء فى العالم ، غير محنطين .

قضت هناك أسبوعا لتدريب جراى أويل على طريقة التعامل مع الكلاب ، وقالت إنه تعرف على الكلاب بصعوبة بالغة ، واستغرق الأمر منه بضعة أيام ليتغلب على دهشته من طريقة الكلاب سواء بشكل فردى أو بشكل جماعى ، وذلك حتى يفهم ويقدر الجهد الذى بذلته آن فى تدريبها . لقد سافروا خلال

التلال الثلجية ، وكانت السماء تتشح بلون خاص حتى بدا الأمر كما لو كانوا يتحركون خلال حلم ما ، فيما عدا الاضطراب الذى يثيره حذاء الجليد فى الأسفل ، وقوة الجاذبية ، لربما صدقوا أنهم نزلوا فى مكان ما من السماء ، حيث يكون العالم كله من الجليد . وكان تدريبهم خلال الرياح والشمال كلما كان ذلك ممكنا ، كانت آن تحمل الطيور فى جراب فوق كتفها - بنفس الطريقة التى تحمل المرأة حقيبتها - ومن وقت لآخر ، كانت تطلق أحد الطيور إلى البرارى الجليدية الواسعة ، وينطلق السمان بسرعة وتهور ، كما لو كان قذيفة سوداء الريش تنطلق إلى أسنان البرد ، وينطلق جراى أويل وكلب - أو عدد من الكلاب - ليبحثوا عنها ، وهم يستدلون عليها بالرائحة فقط ، كما هى الحال دائما . كانت قطرات من الماء قد تجمدت على أفواه الكلاب وأنوفها ، ولكنهم كانوا دائما يجدون الطائر . كان الكلب - أو الكلاب - يحدد البقعة التى وقع فيها الطائر ، فيتقدم جراى أويل أو آن إليها ، وربما حاول الطائر المحاصر النهوض فيطاردونه ناحية الأفق كما لو كانوا يكنسونه بمقشة ، وحينما يدور الطائر تحت الريح يبتعدون عنه مسافة ميل تقريبا ليدفعوه عائدا إلى الشمال . وحينما يصبح السمان مرهقا ولا يستطيع الطيران ، تلتقطه آن من تحت أنوف الكلاب ، وتضع هذا الطائر المتعب فى حقيبتها وتستبدله بواحد آخر نشيط ، ويعودون للمطاردة مرة أخرى . وكانوا يحملون غذاءهم فى حقيبة جراى

أويل ، كما كانوا يحملون معدات للطوارىء - خيمة وبعض الملابس الجافة - فى حالة ما إذا ضلوا طريقهم . وفى كل يوم حوالى الظهيرة (نادرا ما كانوا يرون الشمس ، ولكن فقط السديم الداخلى للجليد الأبيض ، وكانوا يعتمدون على إحساسهم بالزمن) كانوا يتوقفون ويعملون قدحا من الشاى على موقد الغاز . وكان فى بعض الأحيان يموت واحد أو اثنان من السمان نتيجة للجهد الفائق ، وكانوا يقومون بطهيه على الموقد ويأكلون لحمه ، مبعثرين الريش فى الرياح ، ويطعمون الكلاب الرأس والأقدام والأحشاء . ربما لو أن أحدًا رآهما من أعلى ، فإن آثارهما سوف تبدو بلا هدف ، فهما يتجولان بلا اتجاه ، ما عدا تلك البقعة المشتعلة بالحماس فى قلوبهما وقلوب الكلاب ، كما لو أن هذه الآثار والممرات والاتجاهات التى تركاها تبدو غامضة بسبب هبوب الجليد ، أحيانا بعد دقائق من مرورهما فيها .

وقالت آن إنهم فى نهاية الأسبوع تمكنوا من تدريب الكلاب الستة فى نفس الوقت ، كقطيع من الخيول البرية الصامتة خلال كل هذا الجليد . وكما لو كانت عائدة إلى بلدها فى اليوم التالى ، فلم تكن هناك حاجة للحفاظ على أى من الطيور التى أحضرتها معها ، وكانت تطلقهم جميعا فى وقت واحد ، فتطير فى كل اتجاه ، وكانت الكلاب كالعادة تقتفى آثارهما حتى أطراف الأرض .

وكان الجو معتما فى اليوم الأخير ، وكان من الصعب رؤية مسارات الكلاب ، وكان العرق يتسرب من جسد آن من شدة التعب ومن التوتر الناشئ عن محاولة مراقبة الكلاب جميعا ، وتقييم أداء كل كلب ، وتجمد العرق عليها فى بعض الأماكن ، حتى بدت كما لو كان جلدها من الثلج . وقالت لجراى أويل وهى تضحك إنها سوف تحاول أن تجد عميلا - فى المرة القادمة - يعيش فى الأريزونا أو حتى أمريكا الجنوبية . ابتسم جراى أويل ، ثم أخبرها أنهما قد ضلا طريقهما ، ولكن الأمر لا يهم ، فالعاصفة سوف تهدأ فى خلال يوم أو اثنين . كانا يعرفان أنهما قريبان من وقت الغسق ، كان الجو معتما قليلا فى البياض الممتد ، وكان الهواء مثقلا بالرطوبة ، مصير جديد للضوء الخافت حولهما ، والكلاب تظهر وتختفى ، وهى تعمل على حافة قدرتهما على الرؤية . كلما زادت الرياح الشمالية ، كلما انخفضت درجة الحرارة ، قالت لجراى أويل :

لا مناقشة حول أى الطرق تؤدى إلى الجنوب ، سوف نلتف ، ونسير إلى الجنوب لمدة ثلاث ساعات ، وإذا لم نجد طريقا ، سوف نعسكر هناك .

عادت الكلاب وهى تمسك فى أفواهها السمان التى تجمدت فور موتها . فقد كان يسمح لها باستعادتها ، على الرغم من حيرة الكلاب ؛ لأنها لم تسمع صوت الطلقات ، وقالت آن

إنها فجرت بعض الطلقات فى الهواء لكى تجعل الكلاب تعتقد أنها أصابت هذه الطيور ، ومن المؤكد أن الكلاب كانت تعتقد أنها نوع من الإلهات .

استدارا ، وتوجها إلى الجنوب ، آن تحمل فوق كتفها حقيبة مليئة بالطيور الميتة ، والكلاب تعرف أن الصيد قد انتهى الآن ، كقطيع من الخيول التى تلبس سروجها ، ومع ذلك فهى تثب فرحا ومرحا . وبعد حوالى ساعة من الثقة المتزايدة ، شعر كل من آن وجراى أويل بخدر يسرى فى أيديهما وأرجلهما . وبدأ الجليد يتشكل على أطراف الكلاب حتى أنها بدأت ترفع أقدامها لتأخذ خطوات عالية ، لقد جاءوا فى أيام الضوء الأخير للحافة ، وكانت التلال قليلة ، وربما كانوا يسيرون فوق بحيرة متجمدة ، وكان معنى ذلك كما قال جراى أويل إنهم انحرفوا للغرب (وربما للشرق) بحوالى عشرة أميال . وقالت آن إن جراى أويل بدا متعبا وعجوزا وحزينا ، كأى ضائع تسبب فى كل هذا التعب والعناء لضيوفه . ركعا على ركبهما وبدءا يدلكان أطراف الكلاب ، ثم أشعلا الموقد الصغير وأمسكوا كل قدم ، فى كل مرة بالتوالى ، وعرضوها فوق شعلة اللهب الصغير ، حتى تساعدها على إذابة الثلج والإحساس بالدفء .

مشى جراى أويل حتى حافة بحيرة الثلج ، وضرب عليها بقدمه ، آملا أن يجد مياها تحتها لتشرب الكلاب ، إذا ما أكلت الكلاب ثلجا كثيرا - خصوصا بعد هذا الجهد الشاق من العمل

- فإنها سوف تصاب بالإسهال العنيف ، وربما تصبح شديدة الضعف ، ولا تستطيع أن تواصل الرحلة إلى المنزل فى الغد ، أو فى اليوم التالى ، أو حينما تهدأ العاصفة . قالت آن إنها كانت ترى شبح جراى أويل بشق النفس خلال هبوب العاصفة الثلجية ، حتى ولو كان على مسافة عشرين ياردة . ضرب بقدمه على ألواح الثلج ، على الرقعة الواسعة من الثلج ، ضرب بعقب قدمه ، ثم اختفى تحت الجليد . أرادت آن أن تصدق أنها فقدته بمجرد أن طرفت بعينها ، وأنها لم تعد قادرة على رؤيته ، أو أن الجليد انفتح وطواه ، ولكن ذلك حدث بسرعة شديدة ، وابتلعه كاملا . لقد عرفت أن البحيرة ابتلعته . قالت إنها أحست بالأسف من أجله ، وشعرت بالقلق على كلابه ، خافت أن تحاول الكلاب تتبع رائحته خلال جليد البحيرة وتضيع هى أيضا .

ولكن ما أثار غيظها حقا - كما قالت - لكى تكون صادقة تماما ، أن جراى أويل كان يحمل الحقيبة التى تحتوى على الخيمة وإمدادات الطوارئ . وقد قررت أن تحاول إنقاذ الرجل ، وأن تحاول الحفاظ على الكلاب بعيدا عن أن تذهب خلال الجليد خلفه ، ولكن إذا كان قد غرق ، فقد كان عليها أن تحاول استخراج الحقيبة التى يحملها ، وتنصب الخيمة المبتلة فى العاصفة العنيفة على المرج الجليدى ، ثم تزحف داخلها وتحاول البقاء على قيد الحياة . وكان عليها أن تمضى إلى المياه

عارية ، حتى إذا عادت ، كان عليها أن تجفف الملابس لكى تستطيع ارتداءها .

جاءت الكلاب وهى تعدو مثل الخيول ، وبدت أكبر من الغزلان فى هذا السهل المعتم ، ولم يكن يوجد شىء آخر يمكن أن يعادل منظرها ، أوقفتها آن كقطيع من الخيول على حافة البحيرة ، وقد توقفت من الفور ، كما لو كانوا قد أمسكتهم ملاءة من الثلج . أحست آن أنهم يمكن أن يبقوا هناك إلى الأبد أو حتى تطلق سراحهم ، وأثقلتها فكرة أنها لو غرقت ، فإنهم أيضا سيموتون ؛ لأنهم سيقفون هناك بلا حراك ، كما أمرتهم بذلك ، أياما طويلة بقدر ما يستطيعون ، حتى لحظة ما ، ربما سوف يرقدون ، مرتعشين من الإجهاد ، ربما يلعقون بعض الجليد ، طلبا للماء ، ولكن الجليد سوف يغطيهم حينئذ . وسوف يبقون هناك دائما ، وذقونهم ترتاح على الفك السفلى ، محملقين إلى الأمام وغير مرئيين فى العاصفة .

وكانت تتعجب أين ذهبت رائحتها هى . وجدت آن طريقها خلال الجليد ، وتتبعت الآثار حتى وصلت إلى الحفرة التى غطس من خلالها جراى أويل . كان وزنها نصف وزنه على التقريب ، ومع ذلك أحست بتهشم الجليد تحت أقدامها ، وقد أصدر صوتا مختلفا أيضا ، بطريقة لم تستطع أن تفهمها ، ولم يكن الصوت صادر عن رنين طارق ، وتعجبت إذا كان الجليد

الكندى يتجمد بشكل مختلف أو أنه يصدر صوتا مختلفا فقط . لقد نزلت على أطرافها الأربعة وزحفت بالقرب من الفتحة ، كان الوقت فى الغسق ، حملقت إلى أسفل من خلال الحفرة ، وبالكاد استطاعت أن ترى جراى أويل واقفا هناك فى الأسفل ، يلوح بذراعيه لها ، لم يكن يبدو أنه يسبح ، وببطء ، خلعت القفاز من يدها ، وسهلت مرور يدها العارية إلى أسفل الحفرة . لم تجد أى مياه ، ولكنها - رغم ترددها - وصلت لعمق أكبر . وجدت يد جراى أويل يدها وجذبها إلى أسفل ، وتكسر الجليد أثناء سقوطها ، ولكنه أمسكها بذراعيه ، وكانت تستطيع أن تشم رائحة دخان الخشب الصادرة من الجاكيت ، لا يوجد مياه على الإطلاق ، وكان الجو دافئا تحت الجليد . قال :

هذا يحدث أكثر مما يدرك الناس ،إنه ليس خداعا بصريا ، إن هذا فقط هو ما يحدث ، إن تيارا باردا يأتى فى شهر أكتوبر يجمد قشرة من الجليد فوق البحيرة ، ومن المفروض أن تصبح ضحلة المياه ؛ تقريبا مستنقعا ، ثم يهطل الثلج ويعزل الجليد ، وتصرف البحيرة مياهها فى الخريف والشتاء عن طريق الرشح من خلال التربة . وضرب التربة الإسفنجية بقدمه قائلا :

ولكن الثلج العلوى يبقى ، ولا أحد على الإطلاق يمكن أن يلحظ أى اختلاف ؛ فالناس تنظر إلى السطح فقط وتقول (آه .. هذه بحيرة متجمدة) وأطلق ضحكة .

سألت آن : هل كنت تعرف أنها ستكون على هذه الصورة ؟

قال : لا ، كنت أبحث عن مياه ، أنا فقط محظوظ !

عادت آن لتبحث عن الموقد ولتطلق الكلاب من وقفتها التى أمرتها بها .

كانت البحيرة الجافة تصل لعمق ثمانية أقدام فقط ، ولكنها أخذت فى الارتفاع التدريجى حتى الشاطئ ، وكان على آن أن تنحنى لتحافظ على رأسها من الاصطدام بالسقف الجليدى ، ثم كان عليها أن تزحف ، ثم لم يتبق إلا مساحة ضيقة بحيث أصبح لزاما عليها أن تتلوى وتتسلل ، ولكى تخرج كان عليها أن تكسر الجليد من فوقها عن طريق الطرق عليه بكلتا يديها ورأسها ، وحينما اعتدلت واقفة ، ووسطها مازال فى هذه الالتماعات الجليدية ، كان الوقت مساء ، نبحت الكلاب عليها ، ولكنها بقيت حيث أمرتها أن تبقى ، وأصابتها الدهشة لبعد المسافة التى مشتها بعيدا عن المكان الذى نزلت منه ، لقد بعدت مسافة عشرين قدما فقط ، ولكن الكلاب أصبحت بعيدة عنها بضعف هذه المسافة .

لقد عرفت أن الإنسان يصل لاستنتاجات ضعيفة ، تقريبا ، وينعدم إحساسه بالاتجاهات ، ولكن هذا الخطأ - خلال هذه المسافة البسيطة - أصابها بصدمة . إن الأمر كما لو كان يوجد شىء فينا - دافع أو حافز - ينكر قدرتنا على الذهاب مباشرة

إلى شيء آخر ، مثل الكلاب ، فهى تستطيع أن تصل إلى الهدف خلال الريح ؛ يمينا أو شمالا ، متتبعة الرائحة ، وفيما عدا أن الكلاب لن تضل ، بينما هى تستطيع بسهولة أن تتخيل نفسها - وجراى أويل يضيع تحت البحيرة - تسير فى دوائر إلى الأبد ، غير قادرة على أن تجد أبسط الأشياء مثل الشاطئ .

جمعت الكلاب والموقد ، وحاولت العودة من الطريق نفسها الذى جاءت منه - وإن بدا سهلا - ولكنها خافت من عاقبة التوهان فى الاتجاه المضاد ، وفضلت أن تسير على الآثار القديمة نفسها التى سارت فيها وهى تتتبع آثار جراى أويل عندما سقط فى الحفرة أول مرة . كان الوقت ليلا حالكا ، وكانت العاصفة الثلجية مازالت تهب بعنف حتى الآن ، لتلصق الجليد والثلج على وجهها مثل القناع . وكانت الكلاب لا تريد أن تنزل إلى الحفرة ، ولذلك كان عليها أن تدليها لترى وتشم رائحة جراى أويل وبعد ذلك قفزت إلى أسفل لتنعم بالدفء .

لقد أرادوا استكشاف البحيرة ، وكانوا يشعرون بالعطش ، ولكنهم أحسوا بالنصر بمجرد شعورهم بالدفء ، أو بالأحرى بمجرد ألا يشعروا بالبرد ، وكانوا يشعرون بالإجهاد لدرجة أنهم بدلا من أن يصنعوا فراشا من القش الميت الذى يحف ويخشخش حول أقدامهم ، ناموا ملتفين فى الشبك المدلى من

الأغصان ، ليظلوا بعيدا عن الرطوبة فى تجمعات المياه القذرة هنا . ناموا هم الثمانية كما لو كانوا ينامون فى عش ، تلتف أذرعهم حول رءوسهم وحول أضلعهم ، وكما قالت آن ، كانت هذه أعمق وأجمل نومة حدث أن نامتها فى حياتها ، فهى نومة كلاب الصيد ، نومه الطفولة البريئة ، ولم تعرف أبدا كم طالت هذه النومة ؛ لأنها لم تتأكد كم مر عليهم من الوقت وهم يتجولون تحت البحيرة ، وبعد ذلك فى المرج الذى يعلوها ، وفى اتجاه العودة بعد ذلك ، ولكن الجو كان مازال ليلا عند استيقاظهم ، أو ليلا مرة أخرى . وكان ليلا صافيا ، ونجومه تلمع من خلال الفتحات التى تعلو موقعهم ، وحتى خلال الجليد ، الذى يبدو فى مواقع معينة لأسباب مجهولة - ربما درجة الحرارة والأكسچين ومنبع الرياح - شفافا لدرجة تمكنهم من رؤية توهج النجوم ، حتى لو كانت معتمة أكثر ، وللغرابة ، لقد كان يلفهم إحساس بأنهم أكثر قربا إلى هذه النجوم . أو أنهم يسافرون خلال النجوم .

كان الجو شديد البرودة فى الخارج - أعلى الجليد - وكانت الريح تهب بانتظام ، فى تيار مستمر كنهر من برودة الليل ، وكانت ريح أثقل تنبعث من أسفل ، كما لو كانت تحاول أن تملأ البحيرة الفارغة من هذا الهواء المتجمد ، ولكن يوجد أيضا هذا التيار الدافئ الذى ينبعث من تنفس الأرض ، مشيعا الدفء

وحاميا هذا الجليد فى الأسفل ، حتى أن التيارات الدافئة كانت تشكل معركة مع التيارات الباردة . وكانت النتيجة أن الجو فى هذا الموقع تحت الجليد كان مليئا بالنسمات ، بدت أنوف الكلاب مثل تلك التى تظهر فى الصور المرسومة فى تلك اللغة التى نسميها الأحلام ، ولكن بالنسبة للكلاب - وربما بالنسبة لنا أيضا - نجد أنها الحقيقة . إن رائحة البومة ليست حلما ، ورائحة الدب ، وعشية الماء ، وشجر الصفصاف ، والطيور آكلة السمك ، هى أشياء حقيقية وليست حلما ، حتى لو كانت هذه الأشياء نائمة ، وحتى لو كانت مختفية وغير مرئية ، ولكنها موجودة فقط فى السهل التالى .

كان الجليد يئن ويتشقق ، وينبعج إلى أعلى ، وينكمش تحت هذا البرد الرهيب ، وحدث صوت رهيب كما لو كانت العمالقة تسير فوق هذا الجليد ، وكان هذا الصوت هو السبب فى إيقاظهم . اقتربوا من بعضهم فى هذا الجو الدافئ فوق الأعشاب الصفراء الجافة ، وأرهفوا السمع إلى هذا الصوت الهائل ، كما لو كانوا فى مكان تحت البحر ، وهم يراقبون الأمواج الهائلة تكنس النجوم فوق هذا المخبأ ، أو كما لو كانوا فى مكان ما ، فى موضع ما ، حيث يمكنهم أن يراقبوا ميلاد الجبال

بزغ القمر بعد فترة من الوقت ، وغسل النجوم ، وقالت آن إن الوقت كان فضيا وأزرق ، وبدا كما لو كان كائنا حيا ، وقد

ملأ ملاءات الثلج التى تعلو رءوسهم بالإضاءة المرتعشة الكوبالتية والتى انشقت مرة ثانية كما لو كان الجليد يتحرك ، إن لم تكن الأرض نفسها ! والقمر يحدد لها الطريق ، أو كما لو أن الجاذبية الأرضية ترسم غزالا ينهض فى الليل ليتغذى لمدة ساعة أو أكثر قبل أن يستقر عائدا إلى مكانه ، نهض جراى أويل وآن والكلاب وبدأوا رحلة عودتهم .

سألت سوزان بقدر من الجدية والخبث معا :

أنت لم تكونى مرتبطة ؟؟

هزت آن رأسها وقالت : كان الجو شديد البرودة .

واختلست نظرة إلى روجر ولكنها لم تستطع أن تقرأ أى تعبير على وجهه ، هل هو يحبها ؟ . . هل هى تمتلك قلبه ؟؟

قالت آن : ولكنك ربما كنت ترغبين فيه ، إن لم يكن الجو شديد البرودة ، وسألت : صحيح ؟؟

هزت آن كتفيها قائلة : إنه كان رجلا عجوزا ، فى الخمسينات من عمره وكانت الكلاب معنا ، ولكن ، فعلا حدث شيء ما جعلنى أفكر فى هذه الأشياء . وقالت ذلك بحرص وعناية أكثر .

قالت سوزان : أنا كنت سأفكر فى ذلك حتى ولو كان الجو شديد البرودة ، وهو فى المائة من عمره

قالت آن بجرأة وهى تغير الموضوع : لقد سرنا مسافة

طويلة ، وكان الجو رطبا ، وكان الصقيع ينزل فى كل مكان ، وكان يجب علينا أن نتوقف ونشعل قليلا من النار باستخدام الحشائش الجافة ، وكانت توجد جيوب صغيرة من المستنقعات الغازية هنا وهناك ، وأحيانا ما كانت تنبعث شرارة من الأعشاب الجافة وتشعل نيرانا صغيرة من هذه الغازات محدثة فرقعات صغيرة ، وكانت التماعات هذه الانفجارات مثل ضوء الفلاشات ، وكانت جيوب المستنقع هذه تشتعل الواحدة بعد الأخرى مثل قطع الدومينو ، أو مثل الأطفال حينما يلعبون الحجلة ، حتى وصلنا إلى موقع يوجد فيه عدد من الانفجارات الصغيرة هذه على بعد أربعين أو خمسين ياردة ، وعند هذا الموقع كانت هبة اللهب تصنع فتحة فى الجليد مثل المدخنة ، وتفتح الجيوب الغازية الأخرى ، ويتسلل اللهب إلى الخارج ، وكانت رائحة دخان العشب عذبة فى صدورهم ، وأحسوا بالدفء من هذه النيران الصغيرة ، واندفع الهواء البارد من خلال الفتحات ليكون دوامات باردة حول أرجلهم ، وهاجم ضوء القمر هذه الفتحات الجليدية وتسرب من خلالها صانعا التماعات مثل اللؤلؤ بهذه الأعمدة الضوئية ، وكانوا مازالوا تائهين ، ولكنهم كانوا ما يزالون أحياء .

كانت الانفجارات الصغيرة جميلة وممتعة ، ولكنها أخافت الكلاب ، ولذلك أوقد جراى أويل وكذلك آن حزما من القش

الناشف لتصبح شعلا تضئ لهم الطريق ، فضلا عن استعمال النار للدفء والتحذير ، وبين وقت وآخر ، كانوا ما يزالون يخوضون خلال برك من غاز الميثان ، وكانت بعض الجمرات من القش تتساقط من الشعل التى يحملونها ، وهنا تبدأ سلسلة أخرى من الانفجارات الصغيرة والالتماعات .

ماذا يمكن أن يبدو منظرهم ، لو أن أحدًا رآهم من فوق ، هذه الكائنات الغامضة التى تتجول تحت الجليد ، وكيف يمكن أن تظهر هذه الرقعة من البحيرة الثلجية نفسها فى هذه الليلة المضمخة بالضوء البرتقالى للقمر والنار ؟؟ لا يوجد أحد يمكن أن يرى هذا المنظر الفريد ، ما عدا هم أنفسهم ، وهم لا يمكنهم رؤية هذا المنظر العجيب ، ليس لديهم الفرصة المواتية لكى يروا أو يحكموا بأنفسهم . إنهم ببساطة كانوا يتحركون من موقع نار إلى آخر ، وهم يحملون مشاعلهم الصغيرة ، فالجمال الذى يسبحون فيه كان كافيا .

عرفوا أنهم يقتربون من الشاطئ - الشاطئ الجنوبى كما كانوا يرجون - بينما يتبعون إغواء القمر الثلجى فوقهم ، بينما بدأت الكلاب فى مناوشة طيور البر التى وجدت لنفسها طريقا بشكل ما تحت الجليد من خلال الفتحات الصغيرة ، واتخذت لنفسها أعشاشا بين الأعشاب ، مبتعدة بسرعة عن طريقهم الذى يفوح منه الدخان من المشاعل التى يحملونها . وبدأت الكلاب

تتسابق أمام جراى أويل وآن ، وقد استيقظت فيهم هذه الرائحة المألوفة ، وكانت تتمايل تحت انحدار ضوء القمر .

وبدأت رائحة الأدرينالين تنبعث من الكلاب ، قالت آن إنها رائحة مثل رائحة العشب الأخضر حديث القطع ، ولا يوجد مكان تتسرب منه ، كانت الرائحة كثيفة حولهم ، حتى أن آن تعجبت مما إذا كانت سوف تتوهج مشتعلة - مثل الميثان - وما إذا كانت المشاعر عند الكلاب تصل إلى حد التضحية بالنفس .

وتتبعوا الكلاب عن قرب بالمشاعل ، وكان السقف منخفضا - حوالى ثمانية أقدام ، كما لو كانوا فى حجرة عادية - حتى أن أطراف المشاعل كانت تسفع الجليد فوقهم تاركة سائلا يقطر خلفهم ، وعلامة معتمة من الجليد البرتقالى فوقهم ويتكون شريط من الجليد نصف الشفاف إلى السماء ، وأسرعوا خطواتهم ليلحقوا بالكلاب . أحاطت الطيور بالكلاب ، كما أخبرتنا آن بذلك ، وكادت الكلاب تتجمد وهى تقصد أعشاش الطيور المختبئة ، وقالت آن إن ذلك كان من أغرب المناظر التى يمكن أن يراها المرء تحت الماء ، وتحرك جراى أويل ليهيج الطيور التى وقفت قبالة السقف الجليدى فوقهم ترفرف مثل الوطاويط ، ولكن الطائر ليس لديه القوة الكافية ليخترق هذا السقف المكون من أربعة بوصات من الماء المتجمد (على الرغم من قدرته على الطيران لمسافة أربعة آلاف ميل لأمريكا الجنوبية كل عام ، ثم العودة إلى كندا بعد ستة أشهر) .

قام جراى أويل ليهيج الطيور فتندفع لتخبط رءوسها فى السقف وتعود بجراحها فاقدة الوعى ، وتبدأ الكلاب فى العودة بطرائدها من الطيور ، بينما . يجمع جراى أويل وآن الطيور الرقيقة ليضعوها فى حقائبهم ، ويستمروا فى المشى إلى الشاطئ ، مطاردين ذلك القمر . وبدأ السقف ينخفض لمسافة ستة أقدام ، ثم أربعة أقدام ، ثم ينخفض إلى الدرجة التى لا ينفع فيها إلا الزحف ، وبعد أن فتحوا طريقهم إلى الخارج مستعملين قبضاتهم وكيعانهم وأذرعهم فى تحطيم طبقة الجليد ، وخطوا إلى الهواء الطبيعى . وبعد فترة طويلة سار فيها كل من آن وجراى أويل والكلاب مسافة ليست بالقصيرة ، استيقظت الطيور التى كانت فى حالة إغماء ، ولمعت عيونها السوداء الكبيرة فى ضوء القمر . وكان أول منظر صافح عيونها هو منظر المستنقع المتجمد أمامهم ، وسلسلة من الثقوب التى تنفث البخار الحار والتى تمتد حتى الشاطئ الآخر ، ربما كانت هذه الطيور غير قادرة على الهجرة بسبب جراحها أو بسبب غياب بعض الچينات الوراثية منها .

وربما حاولت هذه الطيور الهجرة فى الماضى ، ولكنها وجدت إما أن مواطنها الأصلى قد دمر أو أن الممر قد تحول إلى شظايا ومحفوف بالمخاطر لدرجة أنها قررت أن الأقرب للعقل - بالنسبة لهذه الطيور البسيطة - تجاهل قوة جاذبية النجوم

والمواسم ، بدلا من ذلك تحاول أن تجد طريقة جديدة للحياة ، حتى فى مثل هذا السهل القاسى المقفر ، أو بالأحرى فى فترة مقفرة جدباء ، وهم يعلمون أن السخاء والوفرة ما يزالان فى هذا السهل ، وأنها مسألة وقت فقط ، وتأتى الأيام الأفضل . وماذا يمكن لهذه الطيور أن تعتقد أو تتذكر ، عندما تستيقظ وتجد نفسها ما زالت فى هذا المكان المنعزل ، وفى هذا الموضع ، وفى هذا الزمان المعزول ، ولكنها مازالت حية ، وما زال الأمل يحدوها ؟؟؟ هل سوف يبدو لها أن شيئا ما مثل الرحمة الإلهية قد شملتهم عندما ناموا ، وأن نهر الريح قد عبرهم بسلام ، وأن سلاحهم كان يمثل مكافأتهم على صدق إيمانهم وثباتهم فى المحنة ؟ معتقدين اعتقادا جازما أن هذه الأرض الخضراء تحتهم سوف تزدهر مرة ثانية . ربما ليس سريعا ، ولكن سوف يحدث ذلك .

إذا عاشت هذه الطيور ، فسوف يكونون أول من يراها ، ربما تعتقد الطيور أن مجموعة الكلاب ومجموعة جراى أويل وآن ومشاعلهم كانوا مجرد حلم من أحلام الشتاء ، حتى مع التأكد بالدليل من وجود ممر الرحمة أمامهم ، وتلك الثقوب التى ما تزال تنفث البخار ، ربما اعتقدوا أن كل ذلك ليس سوى حلم من أحلام الشتاء ، إنه من الفضول الزائد أن يسجل الواحد منا عدد الفضائل الإلهية التى يفشل فى ملاحظتها ، وأعتقد أننى

وسوزان نختلف عن معظم الثائرين وأفراد الميليشيا فى أننا نؤمن أنه ما تزال توجد نيران خضراء فى قلوب المواطنين ، وأنه لا يزال يوجد شىء ما تحت السطح ، وأن أرواحنا ونفوسنا لا تزال تختزن قوة أكبر ، قيمة أكبر ، وأن المكونات الثلجية هى المرئية الآن على السطح فقط ، ونحن نعتقد أن أشياء أقوى لا تزال توجد داخلنا كبلد ، ليس بمعنى أننا أفضل من البلدان الأخرى ، بأى طريقة ، ولكن لأننا أكثر حظا ، وأن هذه الهبات من الرحمة لا تزال تلف حولنا وفى دواخلنا حتى الآن ، ولأى نوع من الأسباب ، هى مجهولة لنا ، وبالتأكيد ، نحن لم نكتسبها ؛ لأننا لا نستحقها .

توجه جراى أويل وآن والكلاب إلى الجنوب ، وساروا لمسافة نصف يوم ، حتى وصلوا إلى الطريق الذى بدا مختلفا ، وقالت آن إن الطريق كان مدفونا تحت كومات من الجليد ، ولم يعرفوا إن كان عليهم أن يتجهوا شرقا أم غربا ؟ واختارت الكلاب اتجاه الغرب وتبعهم الباقون ، وبعد مسيرة ساعتين وصلوا حيث توجد الشاحنة الخاصة بهم ، وعادوا فى هذه الليلة إلى حيث توجد كابينة جراى أويل ، وعادت آن إلى بلدها فى الليلة التالية ، وما تزال تقول إنها حتى الآن تحلم بأنها لا تزال تحت الجليد ، وبدا لها الأمر كما لو أنها قضت هناك أكثر من يوم وليلة وأنها قضت سنوات هناك .

حدث ذلك منذ عشرين عاما مضت ، مات خلالها جراى أويل ، وماتت كل هذه الكلاب أيضا ، وأنها الوحيدة التى لا تزال تحمل فى لحمها ذكرى هذه الصفحة .

وحدة كاملة

قصة : فاسيلي شوشكين

إن الإحساس المرهف والتعاطف من أهم الصفات التى يحترمها صانع السروج (أنتيب كالاتشيكوف) فى الناس ، وعندما ينتابه المزاج الطيب ، ويسود السلام أرجاء بيته ، يقول بحنان زائد لزوجته :

إنك يا مارفا امرأة كبيرة ، يعلم الله ، ولكنك بلا فائدة !

فترد متسائلة : مالذى يجعلك تقول ذلك ؟

لأن كل ما تريدينني أن أعرف ، هو الخياطة ، والمزيد من الخياطة ، كل يوم ، كل يوم ، ولكننى واحد من مخلوقات الله ، مثلك تماما ، وقد خلق الله لكل منا روحا ، وأحيانا تطلب الأرواح بعض اللهو مثل كل مخلوق آخر .

وأنا لا أهتم بروحك على الإطلاق ؟!!

آه ؟!

آه ؟ . . ما هذا الذى يؤلمك ؟

حسنا . . ولكننى - فقط - أتذكر والدك (كولاك) الغنى الوغد ، تغمده الله برحمته .

نظرت مارفا إلى أنتيب نظرة شرسة ، وقد ارتسم على وجهها العبوسُ الشديد ، ووضعت يديها على وسطها . ولكن زوجها الصغير الجسم ، وقف بصلابة تحت هذه النظرات النارية

- : عليك أن تترك أبى خارج الموضوع ، هل أنت سامع؟!

فرد أنتيب بتهكم : نعم ، أنا سامع .

هذا أفضل ، ولتنظر لنفسك .

من المؤكد أنك امرأة وضيعة يا مارفا ، ويجب عليك أن تكونى هكذا ، وإلا سوف تصابين بنوبة قلبية وتموتين ، مؤكد ، بينما أنا جالس هنا .

وفى خلال الأربعين عاما التى عاشتها مع أنتيب ، لم تستطع مارفا أن تفرق أبدا ما إذا كان زوجها يمزح أم أنه يأخذ الأمور مأخذ الجد .

قفل على هذا ، واستمر فى الخياطة .

أنا أخيط يا أمى ، أنا أخيط أصابعى المرتعشة فى العظام .

منزل كالاتشيكوف يزخر برائحة قوية تنبعث من الجلد والقطران لا يمكن إزالتها ، وقد كان هذا المنزل الكبير المليء بضوء الشمس يزخر بضحكات الأطفال ، ثم جاءت حفلات زواج هؤلاء الأولاد ،كما حدث بعد ذلك أنْ انتشرت ساعات الحداد الليلية الطويلة المشحونة بالصمت حينما غرقت المرايا فى الظلام ، وكان ضوء الشمعدان الشاحب الضعيف يلقى ظلا كئيبا على شبح الموت الغامض ، أحداث كثيرة وقعت تحت هذا السقف ، فقد استطاع أنتيب ونصفه الحلو القوى أن يربيا اثنى عشر ابنا من نسلهم ، ووصل عدد الأولاد الإجمالى إلى ثمانى عشرة ، وتغير مظهر البيت خلال السنين ، ولكن الشيء الوحيد الذى لم يتغير هو الركن الذى يجلس فيه أنتيب للعمل ، خلف

الجزء الواقع يمين الفرن الروسى ، فهناك، يقوم أنتيب لصناعة السروج ، واللجامات ، وأطواق الجياد . وأمامه ، هناك ، على الحائط ، آلة البلاليكا الروسية المحببة إلى قلبه ، فقد كان أنتيب يهيم عشقا بالعزف عليها ، وهى تمثل هيامه العميق الصامت بالحياة ، ويمكنه أن يعزف عليها ساعات طويلة ، وهو يميل رأسه على طريقة كبار العازفين ، ولم يكن واضحا ما إذا كان العزف على هذه الآلة يقدم له عالما من المعرفة لا ثمن له ، ولكنه قد نسيه من زمن طويل ، أم أنه يجتر أصواتا من حياته بالنسبة له كرجل عجوز ! ويمكنه أن يجلس هكذا يعزف طوال اليوم إذا تركته مارفا اليقظة دائما .

والحقيقة ، أن مارفا لم تكن تريد منه إلا أن يعمل ويعمل ويعمل ويعمل يوما بعد يوم بعد يوم ؛ لأن النقود هى هدفها الرئيسى فى الحياة ، ولذلك كان من عادتها أن تشتبك مع أنتيب فى شجار - طوال حياتها معه - بسبب غرامه بالعزف على البلاليكا ، ووصل الأمر فى إحدى المرات إلى أنها ألقت بالبلاليكا فى النار ، ووقف أنتيب مبهوتا ، شاحبا مثل شبح ، يشاهدها وهى تحترق ، وأمسكت النار بالآلة فورا مثل قصاصة رفيعة من الورق ، وبدأت تتلوى ، ويصدر منها صوت كأنه الأنين عددا من المرات ، وتقطعت الأوتار ، وماتت الآلة .

خرج أنتيب من المنزل ، وأخذ معه فأسا ، وبدأ يمزق

السروج ، وأطواق الجياد ، واللجامات ، واستمر يضرب كل شيء ، حتى السكون المطبق ، ووضع كل شيء فى نظام مرتبك فوق المنضدة ، ثم رمى الفأس لتطير فى الهواء ، وقد أوقعت أفعاله تلك الرعب فى قلب مارفا ، ولم تجرؤ على النطق بكلمة واحدة .

وبعد ذلك ، أغرق أنتيب نفسه فى شرب الخمر لمدة أسبوع كامل ، لا يعود للبيت مطلقا ، ثم عاد أخيرا ، وعلق بلاليكا جديدة على الحائط ، ثم انطلق فى العمل مرة أخرى ، ولم تجرؤ مارفا على لمس الآلة بعد ذلك ، ولكنها كانت تراقب زوجها عن قرب ، فلم تكن تقضى وقتا طويلا عند الجيران ، وكانت تحاول أن لا تغادر البيت ؛ لأنها كانت تعلم تماما أن فى اللحظة التى تغادر فيها البيت فإنه سيمسك بالبلاليكا ويبدأ فى العزف ، وسوف يتوقف تماما عن صنع السروج حتى تعود .

وفى إحدى أمسيات الخريف ، حدث أن كانا يجلسان وحيدين؛ أنتيب فى ركنه ، ومارفا تجلس إلى المائدة لتغزل الصوف . ولم ينبس أحد منهما بكلمة .

وكان الجو موحلا فى الخارج ، والمطر البارد يتساقط ، وفى داخل البيت ، كان الجو دافئا ورطبا ، وكان أنتيب يدق المسامير الصغيرة فى طوق جواد فى دقات منتظمة ورتيبة : تاب ، تاب ، تاب .

تركت مارفا الغزل من يديها ، وحدقت خارج النافذة ،

وضاعت فى أفكارها ، وما زال صوت الدقات يأتى من ركن أنتيب : تاب ، تاب ، تاب .

وكانت الساعة المثبتة على الحائط ترسل دقاتها لتضيع فى الفضاء ، وبدا كما لو كانت ستتوقف فى أى لحظة ، ولكنها لم تتوقف ، وبدأت طرقات حبات المطر تدق بلطف على زجاج النافذة .

سأل أنتيب : ما الذى يجعلك حزينة هكذا يامارفا ؟ هل تفكرين فى كيفية الحصول على مزيد من الأموال عن طريق زوج كسول مثلى ؟! لم ترد مارفا ، واستمرت تحدق إلى الخارج من النافذة . فنظر إليها أنتيب طويلا ، ثم قال : لا أنا ولا أنت سنعيش طويلا فى هذا العالم ، فلا يهم أن تفكرى طويلا ، وسواء أردنا أم لا ، فإن مائة روبل زيادة أو نقصا لا تستحق كل هذا القلق .

واستمر أنتيب فى كلامه بينما هو يمارس عمله : ولتنظرى لى ، فأنا - على سبيل المثال - أفكر طوال اليوم ، ولم يعد علىَّ ذلك بأى شىء إلا بمرض البواسير ، أنا أعمل بكل اجتهاد ، ولا أرى أى عائد مفيد ، ولا شىء ، كم معركة حدثت أثناء حياتى ، وكم نهضة حدثت فى كافة المجالات ، حدثت الحرب الأهلية ، والحرب العالمية الثانية ، ومات عدد كبير من الناس ، ولكن ، على الأقل ، ماتوا بطريقة بطولية ، لقد جلست لأعمل

وأنا فى الثالثة عشرة من عمرى ، وكنت شخصا صبورا أو صرت كذلك ، كما يجب أن أكون . والآن أنا أتعجب ، لماذا عملت طوال هذا العمر . أنا لا أهتم كثيرا بالنقود ، فأنا لم أكن جشعا أبدا ، أنا لم أجمع الكثير من أى شىء ، وقريبا ، سوف لا يستفيد أحد من ناتج عملى، فمن يحتاج إلى صانع سروج هذه الأيام ، ماذا أستطيع أن أفعل أمام ماكينات الحرث وماكينات الحصاد وما أشبه ؟ إنها أشياء تجعلنى أتساءل عن السبب الذى من أجله ولدت والسبب الذى من أجله عشت .

ردت مارفا بكل جدية : من أجل الأولاد !

ولم يكن أنتيب متوقعا أن تشترك مارفا فى الحوار ، فهى كانت - عادة - تقاطعه ببعض الملاحظات المهينة أو ما أشبه .

فرد متعجبا فى موجة عارمة : من أجل الأولاد ! حسنا ، أنا أعتقد أن هذا حقيقى من ناحية ، ولكن من ناحية أخرى ، فهو ليس حقيقيا ، بل هو خطأ .

سألت : وما الخطأ فى ذلك ؟

قال : ليس من الصواب أن يحيا الإنسان لأولاده فقط ، وإنما عليه أن يعيش قليلا لنفسه أيضا .

قالت : هكذا ! وماذا كنت تريد أن تفعل لنفسك ولم تفعله ؟

لم يعرف أنتيب كيف يرد على هذا السؤال ، فقال : ماذا

تعنين بكلمة (ماذا) ؟ لا بد وأننى كنت سأجد شيئا أفعله ، ربما كنت سأصبح موسيقيا وقبل كل شىء ، فهذا الشخص الذى جاء من المدينة فى ذلك الوقت ، وقال إننى ولدت موسيقيا بالفطرة . وأى شخص يمتلك مثل هذه الموهبة الطبيعية يستحق وزنه ذهبا ؛ فهى شىء نادر هذه الموهبة ! ولكن ، ماذا حققت لنفسى الآن ؟ لا شىء ، ولست أكثر من مجرد صانع سروج فقط ، فكرى فى الأمر يا مارفا . ربما كنت سأصبح .

قاطعته مارفا ملوحة بيدها : فلتكف عن هذا الكلام الفارغ ، إنه لشىء محبط أن أستمع إليك وأنت تثرثر هكذا .

قال أنتيب وهو يتنهد : أنت - فقط - لا تفهمين .

ومرت فترة صمت أخرى . وفجأة ، انطلقت مارفا فى البكاء ، وقالت وهى تمسح دموعها بمنديلها : لقد تفرق أبناؤنا فى أنحاء الأرض الأربعة ، ونحن الآن نعيش فى وحدة كاملة .

فسأل أنتيب : وماذا كنت تريدنهم أن يفعلوا لنا ، أن يجلسوا بجوارنا ليمتعونا بصحبتهم طوال حياتنا .

فصرخت مارفا قائلة : لتكف عن العمل والدق الآن ، فلنجلس ونتحدث عن الأولاد فترة . وضع أنتيب المطرقة وهو مقطب الجبين ، ولكنه غمز بعينه وقال : لقد أصبحت أكثر نعومة وأنت تتقدمين فى السن يا مارفا ، وإذا أردت فسوف أعزف لك لحنا لتطردى به الأسى بعيدا ، فوافقت قائلة : هيا لتعزفْ لنا لحنا .

قام وغسل وجهه ويديه ، ورجل شعره ، وقال : أعطينى قميصى الجديد ، وأخرجت مارفا القميص الجديد من الدولاب ، ولبسه أنتيب ، وطوقه بحزام عند الوسط ، وأخذ البلاليكا من على الحائط ، وجلس فى أفضل الأركان إضاءة فى الحجرة بجوار التمثال ، ونظر إلى مارفا قائلا : لنبدأ الآن عزف مقطوعتنا .

فقالت : لا تبدأ فى الثرثرة .

فقال : سوف نبدأ فى تذكر سنوات الشباب ، وأمسك بآلته فى تفاخر وبدأ فى العزف قائلا : هل تذكرين رقصاتنا الدائرية المرحة بين المراعى والحقول ؟

قالت : بالطبع ، فكيف يمكن أن أنسى ؟ فأنا أصغر منك ببضع سنوات قبل كل شىء .

قال : أصغر منى بكم ؟ بثلاثة أسابيع ؟ أو بأيام ؟

قالت : ليست ثلاثة أسابيع ، ولكن بسنتين كاملتين ، لقد كنت طفلة حين جئت من أجلى ، وكنت أنت بالفعل رجلا متوحشا حينئذ .

فضحك أنتيب فى طيبة : لقد كنت مصارعا متأنقا بالتأكيد ، كحالى وأنا جالس هنا ! هل تتذكرين كيف كنت تطاردينني ؟

أنا ؟ أطاردك ؟ لا سمح الله ، كيف كان أبى ، رحمه الله ،

مضطرا لإطلاق سراح الكلب ؟ ومن هو الذى اضطر لأن يترك قطعة من ملابسه معلقة على السور ؟! أكان أنا ؟! هه ؟!

ترك أنتيب كل شىء ، وأمال رأسه على جانبه ، وبدأ العزف برقة ونعومة ، وانسابت الموسيقى الدافئة فى أرجاء البيت ، حيث كانت الظلمة تتكاثف فى الخارج .وتذاكرا أمسيات أخرى ، فامتلاءا بالسرور والشجن ، وفكرا فى أى شىء أهم فى الحياة ، ولكنهما لم يصلا لتحديد لهذا الشىء ، وبدأ أنتيب فى الغناء برقة شديدة : يا حبيبى ، لا تضع وقتك فى التوافه !

فأنت - فقط - سوف يضيع رأسك .

ولم يكن من عادتهما الغناء سويا ، ولكن ، مع ذلك ، فقد تسبب الغناء فى كثير من السعادة لهما ، ولمعت صور عديدة منسية من الماضى فى ذاكرتيهما ، السهل الواسع الممتد إلى حيث لا يعلم أحد فيما وراء قريتهم ، شواطئ النهر ، الظلمة ، حفيف أشجار بستان الحور الذى كان يدفع فى النفس القليل من الخوف ، كان كل ذلك يحدث فى النفوس إثارة لذيذة ، ارتعاشات الخريف المنعشة ، وقد اختفى اهتمامهما بالنقود وباقات الأحصنة لفترة .

واستمر أنتيب يعزف لحنا مرحا ، ويرقص فى أنحاء البيت كعفريت صغير ، وامتلأ أنتيب بالتأثير العميق المسلى المرح ، وكانت مارفا كذلك ، تضحك متأثرة حتى انفجرت فى البكاء ،

ولكنها مسحت دموعها فورا وبدأت تضحك ثانية :فلتكف عن هذا اللهو بحق الإله ، فأنت لم يعد فيك شيء إلاّ الجلد والعظم ، ولكنك مصر على القيام بدور المهرج .

كان أنتيب متوهجا بالسرور ، وكانت عيناه الضيقتان الذكيتان تتلألآن بالمرح : آه يا مارفا الحبيبة

لا يوجد حقيقة إحساس عنيف مثل هذا .

: هاى ، هل تذكر يا أنتيب حينما أخذتنى إلى المعرض فى المدينة الكبيرة فى ذلك الوقت ؟

أومأ أنتيب برأسه واستمر فى الغناء :

طبعا ، كيف لا أتذكر يا مارفا يا حبيبتى فيا له من وقت سعيد مرح فكم أكلنا ، وكم شربنا من البيرة .

قالت مارفا برقة : كم أنت مغفل يا أنتيب ، فالشيطان فقط هو الذى يعرف فى أى شيء ستفكر بعد ذلك .

: آه يا مارفا ، يا عزيزتى الصغيرة لقد ملأت حقولنا بكثير من المرح واهتزت مارفا من شدة الضحك

: إذا ، لم تكن أنت أسخف من عرفت .

فكيف استطعنا أن نمر خلال كل هذا .

ثم قالت وهى تمسح دموعها : فلنجلس ، بحق الإله ، وسوف تغنى شيئا آخر .

نظر أنتيب إلى زوجته وهو ما زال يدق بهدوء : فلتنظرى لى ، ولتفكرى إنك قلت إن أنتيب من النوع السيىء .

فقالت مصححة له : لست سيئا ، ولكنك - فقط - مهرج قليلا ، هذا كل ما هناك واستمر فى كلامه : كان يمكن أن نحيا حياة رائعة سويا ، أنت وأنا ، فكان يمكن لنا أن نكون أفضل صديقين ، ولكنك كنت دائمة القلق بخصوص النقود ، لا تغضبى من كلامى ، هل تمانعين ؟

: أنا لم أكن قلقة بخصوص النقود ، ولكنى كنت قلقة من قلة النقود ، هذا ما كان يقلقنى ، فلم يبد أننا نمتلك أى نقود .

: إننا كنا نمتلك ما يكفينا ، وهذه هى الحقيقة الصادقة ، ولكننا لن نتكلم عن ذلك الآن ، فأى لحن تودين سماعه يا مدموازيل فراو ؟

: لحن فولوديا الشجاع .

: هذا لحن حزين جدا ، لقد استولى عليه الشيطان ، اختارى لحنا آخر .

: لا ما نع عندى من سماع اللحن الحزين ، فعلى الأقل ، سوف أصرخ فى النهاية .

فبدأ أنتيب الغناء :

آه ، يا طيور النورس ، لا تحومى دائرة فوق هذا البحر العميق

أيتها الطيور الضعيفة ، لا يوجد أى مكان لك تنزلين عليه

ولكن عليك أن تطيرى ، بدلا من ذلك ، إلى سيبيريا المفزعة

تحملين الأخبار السيئة لحبيبتى التى تنتظرنى

وكان أنتيب يدندن بأحاسيس قاهرة ، وكان - تقريبا - كمن يتحدث إلى نفسه بدلا من أن يغنى :

وفى الساعة الثانية عشرة من ليلة حالكة السواد

قتلوا حبيبنا الشجاع فولوديا

وفى الصباح التالى ، كان أبوه وأخوه الأصغر

وهنا ، ارتفع صوت نشيج مارفا وهى تقول : اسمع يا أنتيب، سامحنى إذا كنت أخطأت فى حقك

قالت ذلك متوسلة من بين دموعها المنهمرة .

قال أنتيب : لا يهمك ، إذا كنت تركتينى فإننى كنت سأستمر فى العزف ليلا ونهارا ، وأنا أعرف أن هذا ليس صوابا أيضا . سامحينى أنت إذا كنت قد أسأت إليك .

قالت : أنا لم أكن أدعك تعزف على آلتك . اسمع ، يمكن أن تشترى لنا زجاجة صغيرة من الخمر .

قال أنتيب موافقا : لن أقول لا .

نهضت مارفا بعد أن مسحت دموعها وهى تقول

: إذن عليك أن تنهض وتذهب إلى المحل لشراء الزجاجة ، وسوف أجهز لنا عشاء .

جذب أنتيب معطف المطر ، ، ووقف وسط الحجرة فى انتظار مارفا لتتصيّد النقود من كومة الملابس التى اعتادت أن تخفيها تحتها . وقف ينظر لظهرها العريض وقال فى عفوية : هناك شىء واحد ، لقد بليت هذه الآلة ، وأنا أحتاج لواحدة أخرى ، وبالأمس ، تم جلب شحنة كاملة من الأجهزة الجيدة ، فلماذا لا أشترى واحدة جديدة بينما أنا ذاهب إلى المحل .

قالت مارفا وهى لا تزال منحنية : واحدة من أى شىء ؟

قال أنتيب : بلاليكا جديدة .

وبدأت مارفا تتحرك ثانية . أخرجت النقود ، وجلست . وبدأت تعد النقود ببطء وبصعوبة . وكانت شفتاها تتحركان بصمت وهى تقطب جبينها فى غضب ، وقالت معترضة : ولكن هذه ما زالت بحالة جيدة .

: إن الصندوق قد انشرخ ، وحينما أعزف ، فإنه يصدر أزيزا وطنينا .

: إذن ، لماذا لا تلصق هذا الشرخ بالزفت ؟ فكل ما يحتاج إليه قليل من الزفت وسوف تعود الآلة جديدة تماما .

: كيف ، بحق السماء ، يمكن أن أستخدم الزفت مع البلاليكا ؟ هل فقدت عقلك الضعيف ؟!

لم ترد مارفا ، وعدت النقود مرة ثانية ، وعلى وجهها تكشيرة

: خذ . قالت ذلك لأنتيب وهى تعطيه النقود دون أن تنظر فى عينيه .

قال أنتيب بحزن : ولكن هذه النقود لشراء الفودكا فقط . وكانت شفته السفلى تتدلى فى خيبة أمل .

: لا تحمل هما ، هذه الآلة ما زالت صالحة للعمل ، انظر كيف عزفت عليها بشكل جميل الليلة .

تنهد أنتيب بصوت مسموع وهو يتمتم : آه يا مارفا .

قالت : ماذا تعنى ب. آه يا مارفا ؟

قال أنتيب وهويتجه إلى الباب : حسنا ، أعتقد أننى سأخرج إلى المحل .

سألت مارفا فجأة : كم ثمن البلاليكا ؟

قال أنتيب : ليس كثيرا أبدا ، ستة روبلات ، هذا كل شىء .

قالت مارفا : خذ . وأعطته الروبلات بغضب .

أسرع أنتيب إلى زوجته ، وأخذالنقود ، وغادر البيت فى صمت ، فقد كان من المخاطرة أن يتنافس معها أو أن يبطئ فى أخذ النقود ؛ لأنه كان من الممكن أن تغير رأيها .

***

بقية الحياة

قصة : ستيف باربرو

الله يعلم عدد السلالات التى انحدر منها الكلب ، وكان الطبيب البيطرى قد أخبرهم عن الدماء الغريبة لديه ، ويمكن ملاحظتها فى تكوين كتفيه ، ويمكن سماعها فى نباحه المستمر الليلة حينما وصلوا إلى البوابة ، وأبطل تشاكى محرك العربة .

قالت دى آن : إن تشاكى فى الخارج ، وهذا شىء غريب .

لم يعلق تشاكى بشىء ، ونظر عبر الساحة ورأى عربتها تقف فى المدخل ، فشعر بخيبة الأمل ، وكانت أم دى آن قد أخبرتها فى وقت سابق أنها سوف تشترى بعض الأدوات للحديقة من وستيرن أوتو ، ثم تتناول شيئا ما من محل سونيك ، ولا بد أنها قالت لها إنها إذا عادت للمنزل ، وأفرغت مشترواتها فى الوقت المحدد ، فربما تذهب إلى جرينفل مع إحدى صديقاتها للذهاب إلى السينما ، وأخفت دى آن هذه الأخبار عن تشاكى عندما أصطحبها من العمل .

ذهبت أمها إلى جرينفل فى ليلتى السبت الماضيتين ، وقد مارست الحب مع تشاكى على الكنبة ، وكانا قد فعلا ذلك قبلا فى السيارة ، ولكن تشاكى قال إن ذلك يكون أفضل حينما يتم فى المنزل ، أما بالنسبة لها فإن أكثر ما تهتم به فى أنهم يكونون معرضين لأن يضبطا متلبسين إذا ما خرجت أمها إليهما ، مع أنها لم تكن ستغضب أو تطرد تشاكى ، وسوف تظل هادئة وتجلس

لتحذرهما ألا يرتكبا شيئا يعرضهما للأذى فيما بعد ، وسوف تقول لهما هناك أشياء يمكن عملها الآن ولكنها تضر فيما بعد ، مالت دى آن من على الكرسى وقبلت تشاكى وقالت :

-: إن رائحتك لا تشبه الجعة كثيرا ، هل ستأتى معى .

-: بالتأكيد .

كان باتش ينتظر عند البوابة متذمرا ، وكان يضع قدميه الأماميتين عليها ، فتحت دى آن الترباس ، ودخلا إلى الفناء ، وكان الكلب يهرول خلفهما ، وكان الباب الأمامى مغلقا ، وهى الحقيقة التى أثبتتها تشاكى فى اليوم التالى ، وطرقت على الباب بالرغم من أن المطبخ وحجرة الجلوس كانا مضائين ، ولم تأت أمها ، وانتظرت دى آن بضع ثوان ، ثم بحثت فى كيس يدها ووجدت المفتاح ، ولم يخطر لها أن أحدا جاء مع أمها ، وأنهما ربما يكونان فى حجرة النوم الخلفية معا ، يفعلان ما فعلته هى وتشاكى ، ولكن أمها مازالت تعتقد أنها إذا استطاعت أن تكون عنيدة بضعة شهور أخرى ، فإن والد دى آن سوف يستعيد عقله ويعود إليها ، وأنه مازال يحمل لها كل الأحاسيس الجميلة .

فتحت دى آن الباب ، وعبرت العتبة ، ونظرت إلى تشاكى من فوق كتفها ، كانت عيناه مغمضتين ، ولكنهما لم تظلا مغمضتين طويلا ، ربما كان يطرف بهما ، ولكن اللحظة التى رأتهما مغلقتين فيها كانت كافية لبث الخوف فى نفسها ، نظرت

إلى حجرة الجلوس سريعا ، ووجدت كل شيء في مكانه الطبيعي ، فالكنبة الجلدية السوداء موجودة بجوار الحائط البعيد، وأمامها مائدة صنع القهوة ، وكرسيان ضخمان أمام المائدة بزاوية خمس وأربعين درجة ، والجريدة على رف المدفأة في نفس المكان الذى اعتادت أمها أن تضعها فيه . نادت عليها .

- : أمي ، لقد حضرت أنا وتشاكى .

قفز الكلب أمامها وهى تنتظر الرد ، ووثب إلى المطبخ ، وسمعا أنينه مرة أخرى .

حاولت جاهدة اللحاق بالكلب ، ولكن تشاكى وضع يده على كتفها قائلا

-: انتظرى برهة .

ولم يستطع بعد ذلك أن يفسر لأى إنسان - على الأقل لنفسه هو - لماذا عطلها .

وفى بداية تلك الليلة ، بينما كانت تقف خلف طاولة الحساب فى محل البقالة - حيث كانت تعمل فى ذلك الصيف - رأت والدها، كان يقف فى جانب الممشى ينظر إليها من خلال ألواح الزجاج السميكة ، كان الوقت متأخرا ، وكما هى العادة فى أمسيات أيام السبت ، فإن الحى التجارى فى قلب المدينة يكون خاليا من الناس بشكل فعلى ، وإذا أراد الناس التسوق أو الذهاب إلى مطعم للأكل ، فإن عليهم الخروج إلى الطريق

السريع حتى محلات سونيك أو محلات البيتزا الجديدة ، وإذا كان لديهم المال الكافى فإن عليهم التوجه مباشرة إلى جرينفل ، ولقد مضى وقت طويل منذ وقعت أىُّ حركةٍ للشراء فى قلب المدينة فى الحى التجارى بعد نزول الظلام ، وهكذا ، كان ظهور والدها فى هذا المكان أمر غير عادى ، لوح لها ، ثم سار فى اتجاه الباب ، كان المدير فى الخلف يجمع إيصالات اليوم ، وكان المحل خاليا إلا منه ومن دى آن ومن صبى كان يكنس الممشى .

كان والدها يلبس بنطلونا كاكيا وچاكيت ذا أكمام قصيرة ، وعلى جيبه رسم تمساح ، وكان يضع فوق رأسه قبعة جلدية ذات شكل طريف تذكرها بتلك القبعات التى يضعها رجال البوليس ، وكان يحب أن يلبس هذه القبعة عندما يخرج ليسوق سيارته .

قال : أهلا يا حلوة .

كانت تشم رائحة الويسكى منه على الرغم من أن المكتب كان يفصل بينهما ، وكان لعينيه ذلك البريق الغريب .

قالت : أهلا يا والدى .

سأل : منذ متى كان عليك أن تعملى ليلا ؟

قالت : منذ أسبوعين مضيا .

قال : ألا يحول ذلك بينك وبين باكى ؟

وبدأت تصحح له قائلة : إن اسم صديقها هو تشاكى ، ولكنها فكرت ألا تزعج نفسها ، فقد كان دائما من ذلك النوع من الأباء الذين لا يتذكرون كم تبلغ من العمر ، أو فى أى صف دراسى هى ، وكانت لديه أحيانا بعض الصعوبة فى أن يتذكر وجودها ،منذ سنوات مضت كان عليه أن يحضرها معه لنفس محل البقالة ، وبعد أن اشترى بعض الطعام لكلب الصيد ، نسيها تماما ، وتركها تجلس على الأرض أمام رف المجلات وحملها مدير المحل إلى المنزل .

قالت : لا بأس من العمل ليلا ، وسوف يحضر صديقى لاصطحابى خلال دقائق قليلة .

سأل : هل خططتما لقضاء ليلة ممتعة ؟

قالت : ربما نتجول قليلا ، ثم نتوجه إلى البيت .

وضع أبوها يده فى جيبه وجذب حافظته ، وأخرج عشرين دولارا وقدمها إليها قائلا

: خذى ، افعلى بهم شيئا ممتعا على حسابى ، اذهبا إلى السينما أو اشتريا ما تشاءان .

ضحك ، ثم خطا حول المكتب وقبلها من خدها وقال

: ما تزالين أجمل بنت صغيرة فى العالم ، حتى إذا لم تكونى ما زلت فتاة صغيرة بعد .

كان يمسك بها عن قرب ، وكانت تستطيع أن تشم -

بالإضافة إلى الويسكى - عطر بعد الحلاقة ، ونوعا من الديودورانت ، ورائحة أخرى (بقايا ضعيفة لبارفان) .

لم تر السيارة فى الشارع ، ولكنه ربما أوقفها فى الأرض المجاورة فى الخارج ، وكانت مستعدة للرهان على أن صديقته موجودة بها ، وكانت صديقته هذه أكبر من دى آن بثلاث سنوات ، وقد نشأت فى ولاية دلتا ، ولذلك يقول الناس إنها لم تعد تذهب إلى المدرسة بعد ، وكانت تعيش مع والد دى آن فى شقة بالقرب من محل الأزهار الذى كان يمتلكه ويديره ، وقد باع المحل فى الخريف الماضى ، قبل مغادرته المنزل .

لم يعد يعمل بعد ذلك ، وتقول أم دى آن إنها لا تعرف كيف ينوى أن ينفق على نفسه بمجرد انتهاء النقود التى ادخرها ، والشىء الآخر الذى لا تعرفه لأن أحدا لم يخبرها ، هو أن البعض يقولون إن صديقته تبيع المخدرات ، كما يقولون إنه ربما يكون متورطا فى هذا الأمر أيضا .

طبع قبلة عجلى على خدها مرة أخرى ، قائلا لها أن تستمتع بوقتها مع صديقها وأن تخبر أمها إنه يرسل لها تحياته ، وبمجرد خروجه من الباب ، أطفأ المدير إضاءة المحل .

وهذه الجزئية الأخيرة عن إطفاء الإضاءة فى المحل بمجرد خروجه ، كانت مهمة ؛ لأنها فى اليوم التالى حينما كانت تجلس على الكنبة فى منزل جدتها ، بجوارها تماما ، ظل رجل بوليس

المقاطعة - چيم ويلر - يردد هذه الجملة ، ويسألها - لثالث أو رابع مرة - هل أنت متأكدة من ذلك ،وأضاف : حينما غادر والدك المحل ، أطفأ مستر ليندساى - المدير - الإضاءة ؟

كانت جدتها فى السرير ، وكان الطبيب وامرأتان من الكنيسة معها ، كانت تعانى من ألم فى الصدر طوال اليوم ، وكانت حجرة الطعام مليئة بالأطعمة التى أحضرها الناس ، فراخ محمرة ، ولحوم مقلية ، وهامبورجر ، وأطباق من سلطة البطاطس ، وفاصوليا مخبوزة ، واثنان أو ثلاث فطائر ، ورطل من الكعك ، وفى خلال الوقت الذى جاء فيه رجل البوليس حضر تشاكى مرتين، مرة فى الصباح مع أمه ، ومرة ثانية بعد الظهر مع أبيه ، وقد تناول الطعام فى المرتين .

وبينما كانت أم تشاكى تجلس على الكنبة مع دى آن ، وهى تشهق وتمسك يدها ، أعجب والده بالحلى الصغيرة المعلقة على رف المدفأة ، وكان تشاكى قد استقر فى حجرة الطعام أمام المائدة يلتهم قطعة من الفطير بعد الأخرى ، ونادرا ما كان ينظر إلى دى آن من خلال الباب ، وكانت المسافة التى بينه وبينها لا يمكن قياسها بأى وسيلة معروفة ، كانت تعرف ذلك ، وكان هو أيضا يعرف ذلك ، ولكنه كان يعتقد بوضوح أنه إذا ما حافظ على فمه مملوءا فإنهم سوف يشكرونه على ذلك .

قالت لرجل البوليس : نعم يا سيدى ، لقد غادر المحل وبعدها أطفأ مستر لندساى المحل .

كان مستر هويلر ممسكا بقلم بين أصابعه ، وقد وضع نوتة جيب على ركبته ، وكان سيلقى الكثير من الانتقاد على ما فعل فى الأيام القليلة المقبلة ، ويقول بعض الناس إن ذلك كلفه إعادة الانتخاب ، سأل :

- وفى أى ساعة يطفئ مستر لندساى مساء السبت ؟
- فى الساعة الثامنة .
- وهل كانت الثامنة حينئذ ؟
- نعم ياسيدى .
- هل أنت متأكدة من ذلك ؟
- نعم ياسيدى .
- حسنا ، هذا ما قاله مستر لندساى أيضا .

أغلق النوتة ووضعها فى جيب قميصه . قال

- ربما أنه كان فى خلفية المحل ، فإنه لم يرك بالفعل تتحدثين مع والدك ؟

- لا ، لا يمكنك أن ترى المدخل عندما تقف فى الداخل .

وقف هويلر ووقفت هى أيضا ، وأصابتها الدهشة عندما جذبها بالقرب منه ، كان رجلا ممتلئا ، ليس أكثر منها طولا ، وشعرت بأنفاسه الدافئة على خدها قائلا

- أنا آسف بخصوص كل هذا يا عزيزتى ، ولكن لا تقلقى ، أنا أضمن لك أننى سأصل إلى لب الموضوع حتى لو تسبب ذلك فى هلاكى .

كانت تتذكر هذه العبارة (حتى لو تسبب ذلك فى هلاكى) فى تلك اللحظات النادرة التى ترى فيها چيم هويلر فى الشارع ، إنه رجل عجوز الآن ، فى بداية الستينات ، ذو شعر أبيض وكرش كبير ، يعمل منذ سنوات فى مزرعة سمكية ، ولذلك ، يبدو أن لا أحد يعرف ما فعل ، ومعظم الناس يمكن أن يتكلموا عن ما لا يفعل، إنه ليس مسؤلا عن الأمن ، فهو لا يحمل سلاحا ، وهو لا يعمل فى مكتب الاستعلامات ، وهو ليس رئيسا للعمال ، أو مراقبا للوردية ، وهو ليس مسؤلا عن المركبات .

يعمل تشاكى موظفا فى شركة دلتا الكتريك ، وهو يذهب مرة كل شهر لصيانة المولدات الكهربائية ، ويقول إن هويلر دائما فى الخارج يتجول فى الأنحاء ، رأسه مدلى لأسفل ، وقدماه تكادان لا ترتفعان عن الرصيف ، وأحيانا يكلم نفسه .

قال لها تشاكى من فترة قصيرة : كنت هناك الأسبوع الماضى ، وبمجرد أن عبرت من البوابة الأمامية ، وجدته هناك ، على يمينى ، يسير بجانب السور ، حاملا جردل .

سألت : ما نوع الجردل ؟

– كان على ما يبدو من ذلك النوع الذى يزرعون فيه بعض النباتات ، وكان عليه هذه المادة البيضاء الكثيفة اللاصقة على جوانبه ، وعلى أية حال ، كان يخلط فى الكلام .

- ماذا كان يقول ؟

كانا يجلسان على مائدة الإفطار أثناء هذه المحادثة ، وكانت ابنتهما سينثيا قد انتهت من تناول طعامها وكانت منهمكة فى النظر فى كراسة الجبر ، نظر تشاكى إلى سنثيا ، ثم مال بنظره إلى دى آن ، ثم نظر إلى أسفل ، إلى المائدة ، ثم رفع فنجان القهوة وشربها، ثم انطلق إلى العمل .

ولكن فى هذه الليلة ، حينما تسلل إلى السرير بجوارها وأطفأ الإضاءة قامت وأشعلت المصباح مرة ثانية وقالت

- أريد أن أعرف ماذا كان يقول چيم هويلر لنفسه حينما رأيته الأسبوع الماضى ، ليس من عادتهما أن يلتصقا ببعضهما ، ولكنها يمكن أن تقول إن جسمه تصلب ، وقد بذل جهده ليبدو متماسكا ، وقال : لم يقل شيئا كثيرا .

تصلب جسمها أيضا عندئذ ، ورقدت على ظهرها ، وحملقت فى الظلام وقالت : لم يقل شيئا كثيرا تعنى أنه قال شيئا .

قال : ألن ننسى هذا الموضوع أبدا ؟

قالت : أنت الذى ذكرت اسمه ، وأنت الذى تتذكر اسمه دائما ، وحينما تحصل على انتباهى تستشيط غضبا .

مال على جنبه ، ونظر إليها ، ولكنها كانت تعرف أنه لن يكشر عن ملامح وجهه ، وقال : نعم أنا الذى ذكرت اسمه ،

وأنا الذى أذكره ، وإذا كنت تلاحظين هذا الأمر ، فأنا أذكره مرة فى السنة ، وكذلك اذكر اسم لوبيرس ، وكذلك اسم لانكستر أيضا ، وما إذا كان لم يحصل على تلك الثروة الطيبة لينتقل إلى الأشياء الأكبر والأهم من أن يظل موظف حسابات فى مدينة فقيرة ، وأنا أرجو دائما أن أظل أردد أسماءهم ، وبعد أن أذكر أسماءهم ، وبعد أن أتكلم عن چون دو أو سيسيل بو أو تيودور چ بيلبو فسوف أظل أرجو أن أردد أسماءهم وأنت تنسين الموضوع .

كانت مروحة السقف الساكنة قد بدأت تتخذ شكل طائر ضخم أسود تجمد وهو فى منتصف مسافة الانقضاض على شىء ما .

استيقظت ثلاث أو أربع مرات قرب الفجر ، ورأت هذا المنظر ، وكل ما استطاعت أن تفعله هو أن تمنع نفسها من الصراخ ، وفى مرة حشرت قبضتها فى فمها وعضت إصبعها الصغير .

قالت : ماذا كان يقول ؟

قال : كان يكلم نفسه .

قالت : ماذا ؟

قال : كان يكلم نفسه ، كان يتكلم بنوع من الهذيان ، مثل (اضرب چيمى فى الوسط) وربما كان يمشى طوال اليوم

مستعيدا ما حدث حينما كان يلعب كرة القدم فى المدرسة الثانوية ، كان يستعيد المباريات فى ذهنه .

وتحرك مبتعدا عنها ، واقترب من نهاية السرير بقدر ما استطاع ، قال :

- إنه مثلك ، إنه ملتصق بالماضى أيضا .

رأت والدها عدة مرات ما بين ليلة السبت تلك عندما دخل تشاكى المطبخ وهو يهمهم : مسز وليمز .. مسز وليمز

وبعد الجنازة التى تمت يوم الأربعاء صباحا حضر إلى منزل جدتها مساء يوم الأحد ، ودخل إلى حجرة جدتها وجلس بجانبها على السرير وأمسك يدها وتنهد ، وبقيت دى آن فى حجرة المعيشة

وكانت تسمع أصواتهما ، وكان أبوها يقول : تذكرى هذه الأقراط التى كانت تلبسها بعد ولادة دى آن ، وكيف لنا أن نقول إنها تشبه حيوان الراكون الصغير الجميل .

قالت جدتها بعد أن توقف ألم صدرها أخيرا :

-.آه يا آلن ، لقد ربيتها منذ كانت فى المهد ، وأنا أعرفها جيدا ، وهى لم تكف عن حبك أبدا .

ثم بدأ والدها فى البكاء مرة ثانية ، ثم انضمت إليه جدتها فى البكاء ، توقف عن البكاء عندما خرج إلى الصالة ومر إلى حجرة الجلوس ، ولكن عينيه كانتا محمرتين وكان وجهه

محتقنا ، جلس على كرسى صامتا لفترة طويلة ، ثم أراح مرفقيه على ركبتيه ،ساندا ذقنه على قبضتيه وقال :

- هل أنت التى وجدتيها ؟

- تشاكى هو الذى وجدها .

- هل دخلت إليها ؟

أومأت برأسها ، ولم تجهد نفسها بإخباره كيف أفلتت بنفسها من قبضة تشاكى وأسرعت إلى المطبخ آه ، ما حدث عندما دخلت، وقد بدأت تفكر فيم سوف تعرف بعد ذلك ، لقد ماتت فى المطبخ ، وحينما رأت بركة الدماء على مشمع الأرضية ، لمحت شرارة الضوء واللهب التى انطلقت عبر الحائط بقوة ألف فولت والتى ضربت قلبها ، فقدت قدرتها على التنفس ، وأظلمت الحجرة ، وعندما عاد الضوء كانت شيئا آخر .

كان جسد أمها مكوما على الأرض أمام الباب الذى يؤدى إلى الشرفة ، وكانت البندقية التى قتلتها ملك والدها ، وكانت مستندة على طاولة المطبخ .

ووجد البوليس أن شخصا ما قد أخرج كل الأسلحة ، ستة مسدسات والبنادق الأخرى ، وكل هذه الأسلحة ملك لوالدها ، وألقاها جميعا على الأرض ، وكان قد كسر قفل الدولاب المعدنى ، وأزال صندوق الرفوف وعبأ بندقية ماركة ريمنجتون ،

من الصعب التكهن بالشىء الذى كان يبحث عنه هذا الرجل الذى كان وما زال شيئا غامضا ، وجها بلا ملامح ، وكان كيس نقود أمها قد نهب ، وكانت حافظتها مفقودة ، ولكن لم يكن من المحتمل أن يوجد فى الكيس الكثير من النقود ، كان لديها بعض الجواهر فى حجرة النوم ، ولكنه لم يعثر عليها ، وكان أكثر الأشياء قيمة فى المنزل هى الأسلحة ، ولكنه لم يأخذ منها شيئا ، لقد دخل من الباب الخلفى، فقد وجد القفل مكسورا ، ولا بد أنه هرب من الباب الخلفى، ولم يستطع أحد أن يخمن لماذا لم يهجم باتش عليه ويمسكه من رجله ، وحينما ظهر الشريف ومساعدوه سارع تشاكى بمنع الكلب من مهاجمتهم .

قال أبوها : إنها لم تكن ترغب فى أن تريها بهذه الصورة ، ولا أنا أيضا .

ومد يديه ونظر فيهما متفحصا بدقة كما لو كان ينوى قراءة الطالع لنفسه وقال :

أعتقد أننى كنت محظوظا .

والتقت نظراته بنظراتها ، وأضاف : هل تريدين قول أى شىء ؟

هزت رأسها بما يعنى لا ، ولكن دارت فى رأسها فكرة أن تقول له كم هى تشعر أن كل هذا غير حقيقى ، لقد مرت سنوات منذ أخبرته بمشاعرها الحقيقية تجاه أى شىء .

قال : الحياة قصيرة ولعينة ، لقد أصبحت عائلتنا رقما فى الإحصائيات التى تقرئينها فى الصحف ، أنت تقرئين هذه الحكايات، ولا يخطر ببالك أبدا أن مثل هذه الحكايات يمكن أن تحدث لك ، والحقيقة هى أن لا شىء يمكن أن يضمن لك عدم حدوث هذا لك ، ولقد صدمتها أن يستعمل كلمة (عائلة) ، فهم لم يكونوا عائلة منذ وقت بعيد مضى .

لقد نسيت كل ما قال حتى بضعة أيام مضت ، وكل ما استطاعت أن تتذكر بخصوص زيارته لها مساء السبت إنها كانت الزيارة الثانية فى مدة أربع وعشرين ساعة ، وأنه جذبها بقربه وعانقها وأعطاها عشرين دولارا . رأته مرة ثانية يوم الاثنين أثناء الجنازة فى البيت ، ورأته مرة ثالثة فى اليوم التالى ، كانت تجلس بينه وبين جدتها ، وقد أمسك يدها أثناء موعظة القسيس ، وكانت تتعجب من أنه ممكن أن يحضر صديقته معه ، ولكن حتى هو أدرك أن هذا غير لائق ، وقد أدرك أنه من غير اللائق أيضا ، ومن الحمق ، أن يقدم نفسه لمكاتب شركة التأمين فى مدينة جاكسون صباح الجمعة ، وقد أحضر معه شهادة ميلاد أمها ونسخة من تقرير المحقق فى أسباب الوفاة .

حينما كانت تفكر صباحا - يوم السبت - فى زيارة هويلر للمرة الثانية ، كانت تتخيل ابنتها تجلس على الكنبة مكان جدتها بدلا منها فرأت سينثيا تنظر إلى الشارة الفضية على جيب قميص

هويلر، وتنظر فى كراستها الصغيرة التى كانت مفتوحة ، وتنظر إلى القلم الذى يمسك به بقوة بين أصابعه ، سمعت هويلر يسأل : فى أى ساعة حضر صديقك لاصطحابك فى تلك الليلة ؟ أجابت بصوت ضعيف قريب من البكاء : فى حوالى الثامنة ؛ لقد تكلمت مع صديقها منذ ساعة مضت وكان خائفا ، وكان أهله لا يهتمون بهويلر ، ولا يهتمون به ، وفوق كل شىء لا يهتمون بها ، ولم يكن أحد منهم يهتم بالتجربة المريرة التى مرت بهم هذا الصباح ، إنهم أتقياء ورعون ، وهم لا يشربون الخمر ولا يدخنون ، ولم يرهم أحد أبدا فى الملاهى الليلية ، ولم تقترن أسماؤهم أبدا من قبل بمثل هذه الحوادث ، والآن دخل الشريف منزلهم ، واستجوب ابنهم كما لو كان معتاد الإجرام ، وسوف يكلف ذلك الشريف فَقْدَ أصوات كثيرة فى نوفمبر القادم ، وهى قد فقدت تعاطفهم بالفعل ، لقد فقدتهم عندما هجر أبوها أمها وبدأ فى إقامة علاقة مع فتاة صغيرة .

سأل هويلر : أنا متوقف أمام الساعة الثامنة التى تقولين إن صديقك أتى إليك فيها ، لأن والدك كان عندك فى هذا الوقت .

قالت : نعم ياسيدى .

قال : والآن يدعى صديقك أنه لم ير أباك وهو يغادر المحل، وقال إنه حتى لم يلاحظ سيارته فى الشارع .

قالت لقد غادر أبى المحل قبل مجيئه بدقائق قليلة ، وأما بالنسبة للسيارة فأعتقد أنه أوقفها فى مكان قريب .

قال : أوقفها فى مكان قريب ؟

قالت : نعم يا سيدى .

سأل : أوقفها عند النهر الصغير ؟

قالت بصوت أكثر ضعفا : نعم يا سيدى .

سأل : حيث تقف شاحنات تسليم البضاعة ؟ أليس هذا هو مكانها ؟

قالت : أعتقد ذلك .

توقف قلم هويلر ، وضعه على ركبته ، ورفع يديه أمام عينيه فاحصا إياهما مثلما فعل والدها ذلك منذ أيام قليلة مضت ، وكان ينظر إلى عينيه وهو يسأل : هل لديك أية فكرة عن السبب الذى من أجله أوقف والدك عربته خلف الطريق ، حيث لا تقف إلا شاحنات البضائع ، بينما كان الطريق الرئيسى مهجورا تقريبا ، وكانت توجد صفوف كاملة من الأماكن الخالية أمام المحل تماما . كان الشريف يعرف الإجابة مثلما كانت تعرف هى ذلك ، فحينما تكون مع امرأة لست متزوجا بها ، فأنت لا تضع عربتك فى الطريق الرئيسى فى ليلة السبت ، خصوصا إذا كانت عربتك صغيرة لا سقف لها ، وابنتك على بعد أقدام قليلة ، ولا يوجد حاجز إلا لوح عريض من الزجاج بينها وبين الفتاة التى لا تكبرها كثيرا ، هذا هو السبب الذى أوضحته لنفسها ذلك اليوم على الأقل ، وقالت :

- أعتقد أن صديقته كانت معه .

قال هويلر وهو ينظر إليها :

أنا لا أقصد إيذاء مشاعرك ياعزيزتى ، ولكن الكثير من الناس يعرفون أمر علاقته بصديقته تلك .

- نعم ياسيدى .

قال : هل يمكن أن تخمنى سببا آخر لإيقاف سيارته فى الخلف ؟

لم تستطع الإجابة على هذا السؤال ، وحتى لم تحاول الإجابة عليه .

قال : لا يوجد أى سبب يربك صديقك عندما جاء لاصطحابك ؟

قالت : لا يا سيدى .

قال : هل أنت واثقة من ذلك ؟

عرفت أن هويلر سأل تشاكى عن مكان تواجده فيما بين الساعة السابعة والربع عندما رأى العديد من الأشخاص أمها تأكل الهامبورجر فى محل سونيك والساعة الثامنة والنصف ، عندما وجدا جثتها معا ، وقد أجاب تشاكى على سؤال هويلر بأنه كان فى المنزل يشاهد التليفزيون فيما بين السابعة والربع وما قبل الثامنة بدقائق عندما ركب عربته وذهب ليصطحب دى آن ، وكان

والداه فى جرينفل يتناولان العشاء فى ذلك الوقت ، ولذلك هم لا يستطيعان تأكيد روايته .

قالت : نعم ياسيدى .

قال : إن أباك يتذكر أشياء تختلف قليلا ، فهو يقول إنه جاء من الطريق الرئيسى حوالى السابعة والنصف ، ومكث يتحدث معك حوالى نصف ساعة ، وبالطبع كان مستر لندساى داخل المحل ولذلك فهو لا يستطيع أن يؤكد هذه الأقوال أو ينفيها ، ومساعده الصغير يبدو أن الله لم يعطه عقل ذبابة ، فقد كان أبوك موجودا فى البار يحتسى البيرة فى الساعة الثامنة ، ومكث هناك حتى حوالى العاشرة ، وذلك تبعا لأقوال عدد من الناس ، ولم تكن صديقته موجودة معه ، والحقيقة أن صديقته غادرت البلدة صباح الخميس الماضى فى رحلة طيران من نيو أورلينز إلى مكسيكو سـيتى ، ويبدو أنها سافرت من هناك إلى الأرجنتين .

تصورت دى آن الموقف حينما كررت ابنتها الدور الذى لعبته ذات مرة ، وتخيلت وجه سيتشيا الذى صار شاحبا حينما صدمتها قوة الحقيقة ، كانت ما تزال تجلس هناك هكذا - يداها متدليتان بلا فائدة فى حجرها ، والوجه محتقن بالدماء - وذلك حينما أخبرها چيم هويلر أن والدها - منذ ستة أشهر مضت - أمن على حياة والدتها ببوليصة تأمين ، وتشمل هذه البوليصة تأمينا مضاعفا فى حالة الوفاة فى حادث . وقال :

- يا عزيزتى ، يجب أن أخبرك بهذا الموضوع ؛ لأنك تلقيت من الأنباء السيئة ما يكفى ، وسوف يحصل والدك على مبلغ نصف مليون دولار بسبب وفاة والدتك ، ويوجد عدد من الناس ، وأعتقد أننى واحد منهم ، يعتقدون أن هذا شىء لا يجب حدوثه .

- عاد تشاكى من العمل فى شركة دلتا اليكتريك فى الساعة السادسة ، ولقد لاحظت منذ حوالى سنة مضت أنه بدأ يعود إلى البيت متأخرا ، وفى أول مرة يحدث أن يتأخر أخبرها أنه ذهب مع صديقه تيم ليشربا البيرة ، ورأت تيم فى اليوم التالى يشترى شيئا من السوبر ماركت ، وأشارت إلى خروجه مع تشاكى فى المساء لمجرد أن تعرف رد فعله ، ولكنه بدا مندهشا ، وأشعرها ذلك بالقلق ، وكانت ستشعر بالقلق أكثر لو أنه لم يندهش ، وكانت سوف تعتبر هذه دلالة على أن تشاكى قد أخبره بذلك قبلا ، شكرت تيم فى النهاية ولم تفتح فمها بكلمة .

وأصبح تأخير تشاكى يحدث بشكل أكثر تدريجيًا ، ذهب تشاكى إلى جرينفيل ليشترى بعض قطع غيار الشاحنة ، وذهب إلى مدينة يازو لحضور اجتماع مع المدير الإقليمى ، ثم سافر إلى شمال البلاد ؛ لأن شخصا ما نشر إعلانا فى المجلة القومية للسلاح أنه يبيع بنادق متميزة .

كانت تتجنب التعلق بابنتها سينثيا ، فهى تريد لابنتها أن تستقل بحياتها الخاصة ، حتى لو كان الاستقلال بالنسبة لفتاة فى

السادسة عشرة من عمرها يعبر عن نفسه بخلق مسافة بينها وبين أمها ، وسينثيا تتكلم كثيرا فى التليفون ، تتحدث مع صديقاتها وأصدقائها أيضا ، وكانت دى آن تسمع ضحكاتها من خلال باب حجرة النوم .

وفى المساء ، حينما لا يكون تشاكى موجودا بالمنزل ، تجلس وحدها على الكنبة تتفرج على التليفزيون ، أو تقرأ ، أو تستمع إلى الموسيقى ، وكانت دى آن تخرج وحدها فى أمسيات السبت ، وتخرج سينثيا مع أصدقائها ، ولم تكن دى آن تحب الذهاب إلى السينما حتى لا تشعر سنثيا بالإحراج إذا تصادف وجودها فى نفس الدار أيضا ، ولم تكن تخرج لتناول الطعام فى أى مطعم فى المدينة ، وبدلا من ذلك ، كانت تتجول كثيرا ، وأحيانا ما كانت تستمر الجولة حتى العاشرة أو الحادية عشرة ، وبين وقت وآخر ، حينما تكون فى إحدى هذه الجولات تمر بالبيوت واحدا وراء الآخر ، حيث تجلس العائلات أمام التليفزيون ، وكانت تسمح لنفسها أن تتمنى لو كانت تقتنى كلبا يؤنس وحدتها ، وهو الشىء الذى لم تسمح به لنفسها كفتاة ناضجة .

نشر خبر القبض على أبيها فى الجريدة وكان مصحوبا بصورة وكان يبدو فى الصورة فور خروجه من عربة الشريف هويلر ، وكانت العربة تقف فى الممر بين المحكمة ومبنى

المطافى ، وكان الشريف هويلر فى الصورة أيضا يقف بجانب والدها من اليسار هو وواحد من مساعديه ، وكانت يد المساعد تمسك بذراع أبيها اليمين ، وكان ينظر مباشرة إلى الكاميرا ، وكذلك الشريف هويلر ، وبدا أنَّ أباها هو الوحيد الذى لم يلاحظ المصور وعملية التصوير ، فقد كان ينظر إلى اليسار ، فى اتجاه شارع لورنج ، والذى لا يظهر فى الصورة ، ومع ذلك فأنت تدرك أنه موجود هناك . وعندما أمسكت الصورة وراحت تتفحصها ، أخذها العجب من السبب الذى جعل والدها لا ينظر إلى الكاميرا ، ولكنها كانت تعرف أن هذا استنتاج منطقى منذ أن اتهم والدها بجريمة قتل ، فمن الطبيعى أنه لا يريد أن يظهر وجهه فى الصحف ، مع أنه لم يكن يبدو قلقا ، لم يكن يبتسم بالضبط ، ولكن لم تكن توجد خطوط كثيرة حول فمه ، كما يمكن أن يوجد إذا بدا قلقا ، ألم يكن يلبس الكلبشات ، ألم يكن محاطا برجال القانون من كلا جانبيه ؟ ولكن ربما يمكن القول إنه بدا هادئا ، ثم إن هناك ما يخص الشىء الذى كان ينظر إليه ، يقع مكتب ليو بيرس فى شارع لورنج ، وكان هذا الشارع هو الذى لا يوجد فى الصورة حتى لو أراد المصور إظهاره فى الصورة ، فإنه لم يكن يستطيع ، طالما أنه كان يريد إظهار الرجال الثلاثة فى الصورة ، فإنه اختار ألا يصور شيئا آخر، وأحيانا ما يكون الشىء خارج الصورة أكثر أهمية من الشىء

الظاهر فيها ، وقبل كل شيء فإن شارع لورنج يقع جنوبا ، سأل تشاكي :

– هل تظنين أنه فعل ذلك ؟ هل تظنين أنه قتل والدتك بالفعل ؟

كانا يجلسان في عربته عندما سألها هذا السؤال ، وكان ذلك في صباح يوم سبت من شهر أغسطس ، وكان قد مر على والدها حوالي أسبوعين في السجن ، ورفض القاضي الإفراج عنه بكفالة خوفا من هروبه خارج البلاد ، ولم يكن القاضي يعلم أن والدها لن يغادر البلاد قبل أن يصرف نقود التأمين والتي تمّ وضعها في حساب مقيد بشرط تبرئته من الاتهام بالقتل .

كانت العربة تقف في بقعة قريبة من كليفلاند ، وحينما منع والدا تشاكي ابنهما من الخروج مع دي آن ، فإنها كانت تتسلل إلى الطريق السريع ، وكان هو يمر عليها لأخذها من جانب الطريق ، وفي السنوات التالية سوف تتعجب إذا ما كانت هي وتشاكي قد بقيا معا وتزوجا ولِمَ لم يحاولْ والدا تشاكي إبعادها عنه ، قالت :

– لا أعرف ، بالتأكيد هو قال كلاما كاذبا عن زيارته لي ، كما أن الكلب باتش كان موجودا وإذا ما حاول شخص ما التسلل إلى المكان فإنه سوف يمزقه إربا ، ولكنه لم يكن ليهاجم والدي .

قال تشاكى : أنا لا أصدق هذا ، ربما يتصرف والدك بشكل أحمق ، كأن يتصرف مثلما فعل ويصادق فتاة صغيرة ، ولكن أن يطلق النار على أمك ، ثم يحضر إلى محل البقالة ويبتسم لك ويعانقك ؟ هل تعتقدين حقا أن أى شخص يمكن أن يفعل هذا ؟

بدأت دى آن تفكر تقريبا مثل أى شخص آخر ، وهى لا تعرف لماذا تسير الأمور بهذا الشكل ، ولكنها كانت تعتقد أن هذه التصرفات لها علاقة بالوصول إلى سن البلوغ وتكوين علاقات ، فتكوين العلاقات معناه ارتباط الإنسان بأشياء معينة ، بأناس معينين ، بأماكن معينة ، بطريقة معينة فى الحياة ، وفصم العلاقات نوع من العنف ، حتى لو كان كل ما تفعله هو أن تخرج من الباب رقم واحد وتدخل من الباب رقم اثنين ، وأن فعلا واحدا عنيفا يمكن أن يؤدى إلى فعل عنيف آخر ، ولأنك لست فى حاجة إلى سفك الدماء لتنهى حياة ، ولكن بعد القضاء على حياة ، فإنك سوف تستمر فى سفك الدماء إذا ما كان ذلك سوف يحقق لك شيئا آخر تريده .

قالت : أنا لا أعرف ماذا أفعل ؟

قال تشاكى : فى كل مرة كنت قريبا منه ، كنت أجده فى حالة طيبة ، أنا أتذكر الذهاب إلى محل الزهور مع والدتى عندما كنت صغيرا ، كان والدك دائما مؤدبا ولطيفا ، واعتاد على أن يعطينى زهرة مجانية .

قالت : نعم ، حسنا ، لم يعطنى أبدا زهرة ، بالإضافة إلى أن أمك كانت جميلة جدا فى ذلك الوقت .

قال : ماذا يعنى هذا ؟

قالت : ليس من المفروض أن يعنى أى شىء ، أنا فقط أوضح الحقيقة .

قال : هل تقولين إنها ليست جميلة الآن ؟

روعتها براءته ، وإذا أحسنت التعامل معه ، فإنها أدركت أنها يمكن أن تجعله يفعل أى شىء تريده ، وعلى سبيل المثال ، دفعها الإغراء إلى وضع يدها داخل قميصه والضرب على صدره مرتين ، لم تكن تفعل ذلك فى العادة ، ولكنها فعلت ذلك بدافع من صوت داخل رأسها شجعها على ذلك ، وقالت :

– أنا لم أقل إنها لم تعد جميلة الآن ، أنا فقط أقول إن والدى كان لطيفا معها بالطبع ، لقد كان دائما لطيفا مع النساء الجميلات .

قال : كانت أمك امرأة جميلة أيضا .

قالت : نعم ، ولكنها كانت زوجته .

أدار تشاكى رأسه وحملق إلى الخارج لعدة ثوان ، وعندما نظر إليها مرة أخرى قال : أتعرفين شيئا يا دى آن ؟ أنت تقولين كلاما معقولا .

أخذ رشفة أخرى من البيرة ، ثم ألقى العلبة من النافذة ،

وأضاف قائلا : ولكن مع كل ما مررت به فأنا لا أتعجب من ذلك .

أدار محرك العربة ووضع يده على ركبتها ، وبقيت كذلك لمدة عشرين دقيقة بعد ذلك ، حتى تركها تنزل بجانب الطريق السريع من حيث التقطها .

كانت لا تستطيع أحيانا أن تفصل فى ذهنها بين كل الرجال الذين عرفتهم ، وبدا الأمر كما لو كانوا يدورون حولها ، أبوها تشاكى ، چيم هويلر ، ليو بيرس ، وبيرى لانكستر كما لو كانت تجلس بلا حراك على كرسى صلب ، فى حجرة صغيرة وهم يدورون حولها بسرعة شديدة لدرجة أن وجوههم تتداخل فى صورة واحدة تبدو معلقة على مسافة بوصات قليلة ، وكانت تشم روائحهم أيضا ، روائح الكولونيا بعد الحلاقة ، وعرقهم الرجالى ، والويسكى.

كانت تقابل ليو بيرس خارج المدينة منذ وقت بعيد مضى ، كان شعره أحمر ، وكان يرتدى قميصا بأكمام طويلة وربطة عنق عريضة غالبا ما كان لونها ساخنا ، يمكنك أن تراه يعبر شارع لورنج ، يحمل فنجانا من القهوة فى يد ، وحقيبة فى اليد الأخرى ، فقد كان مكتبه يقع عبر الشارع مباشرة فى مواجهة قاعة المحكمة ، حيث يقضى وقتا طويلا من حياته ، إما زائرا لزبائنه فى السجن الذى يقع فى الدور العلوى ، أو مدافعا عن نفس هؤلاء الزبائن فى الدور العلوى فى المحكمة نفسها .

وبعد أن دافع عن والدها بسنوات عديدة ، وجد ليو بيرس نفسه فى الدور العلوى مرة ثانية ، فى الجهة الأخرى من القضبان هذه المرة ، متهما بكشف عورته أمام فتاة فى الثانية عشرة من عمرها ، وبعد نشر القصة فى الصحف ، ادعت نساء أخريات معظمهن فى العشرينات أو أوائل الثلاثينات من أعمارهن أنه كشف نفسه عليهن أيضا ، لقد كشف نفسه أمام دى آن أيضا ، وإن لم يكن قد كشف نفس الجزء من جسمه الذى كشفه أمام فتاة الثانية عشرة ؛ لقد جاء لرؤيتها فى منزل جدتها فى مساء يوم فى وقت ما بعد إجازة الخريف ، كانت تعرف أن الدراسة مستمرة لأنها تتذكر صباح اليوم التالى لزيارة بيرس لها ، كان عليها أن تجلس بجوار ابنه ريموند فى امتحان اللغة الإنجليزية .

جلس ليو على نفس الكرسى الذى جلس عليه چيم هويلر بالقرب من مائدة القهوة ، لم تكن معه حقيبته ، وكان يلبس ربطة عنق أخرى ، وكانت - إذا ما كانت تتذكر جيدا - ذات خلفية من اللون الوردى ، وبها أزهار بيضاء ، قال :

- كيف حالك يا حبيبتى ، لعل أمورك تكون على ما يرام .

هزت كتفها وقالت : نعم يا سيدى ، أعتقد ذلك .

قال : إن والدك قلق عليك جدا .

وتناول فنجان القهوة الذى أحضرته جدتها قبل أن تتركهم وحدهم وتخرج ، وأضاف وهو يرشف القهوة :

- أنا لا أدرى إذا كنت تعرفين ذلك أم لا .

وضع فنجان القهوة ، وقال :

لقد ذكر لى أنك لم تزوريه .

كان يحملق فيها بطريقة مباشرة ، قالت :

- لا يا سيدى .

قال : تجعلين الناس تصدق أن والدك فعلها .

وكان ذلك آخر شيء تفوه به منذ دقيقتين أو ثلاث ، وجلس يراشف القهوة ، وينظر فى أرجاء الحجرة كما لو كان سمسارا يقيس المنزل ، وكانت تعتقد أنه قال كل ما ينوى ، جاء صوته قائلا :

- لقد فشل والدك ! ياإلهى ، كيف نفشل !؟ ولكن الابناء دائماً يحمون آباءهم تمامًا كما تحمى البنت الطيبة أمها ، ولكن الحقيقة - إذا كنت تريدين الحفر للوصول إليها - هى أننى فشلت مع هذا الولد ، أنت تلاحظين ذلك ، يا للجحيم ، إنه لا يستطيع أن يركل كرة القدم أو يضرب كرة البيسبول ، ولم يكن هذا بسبب خطأ أحد سواى ، وأنا أتذكر حينما كان بهذا الطول .

وأشار بيده لمسافة حوالى ثلاثة أقدام من الأرض ، واستمر قائلا : جاء إلى ساحبا هذا الوطواط البلاستيك وقال : والدى ، علمنى كيف اضرب كرة البيسبول . هل تعلمين ماذا قلت له ؟ قلت له : ياولدى ، أنا أدافع عن رجل يواجه عقوبة السجن مدى

الحياة ، وعلىّ أن أتواجد قبل حضور القاضى صباح الغد للمرافعة فى القضية ، يمكنك أن تأخذ هذا الوطواط وتربطه فى الطائرة الورقية وترى إذا كان سيطير أم لا .

وصل عندئذ إلى المائدة ، ووضع يده على ركبتها .

حاولت أن تتذكر مَنْ أيضا فعل ذلك مؤخرا ، ولكنها لم تستطع أن تتذكر فى هذه اللحظة عندما تكلم مرة ثانية ، حافظ على أن يكون صوته منخفضا ، كما لو كان خائفا من أن يسمعه أحد ، قال :

دى آن ، ما أقوله لك هو أننى أعرف أشياء كثيرة عن والدك تجعلك فى صراع ، هناك أشياء كثيرة فعلها لم يكن يجب عليه عملها ، وهناك أشياء كثيرة لم يفعلها وكان يجب عليه عملها ، هناك مجموعة مما كان يجب ومجموعة مما كان لا يجب ، ولذلك ليس من قبيل الدهشة بالنسبة لى ، إنك سوف ترتبكين حول هذا ! لقد سمعت أقاويل عن أن المذنبين يريدون ليو بيرس للدفاع عنهم ، والآن أدركت السبب ، ولكنها مرتكبة لجريمة ، ولذلك قالت : أنا لست مرتبكة بخصوص الوقت الذى جاء إلى فيه ، لقد جاء فى الوقت الذى حددته .

وبدأ ليو بيرس بهدوء وبأسف يوجه إليها سلسلة من الأسئلة كما لو كانت شاهدة تحت القسم ، هل هى تظن حقيقة أن والدها كان غبيا لدرجة أنه يؤمن على حياة أمها ، ثم يقتلها ؟

وهل إذا كان يخطط للهرب مع صديقته ، فهل يتركها تغادر البلاد أولا ثم يقتل أم دى آن ثم يطالب بالبوليصة بعد ذلك ؟ وهل كانت تعلم أن والدها ينوى أن يضع النقود فى حساب للتوفير باسمها ؟ وهل تعلم أن والدها قد انفصل عن صديقته ، وأن الفتاة غادرت البلاد لتطارد شابا أمريكيا جنوبيا والذى - كما اعترف أبوها - كان من المحتمل أنه يبيع لها المخدرات ؟

ولما رأى أنها لن تجيب على أى من هذه الأسئلة ، نظر ليو بيرس إلى الأرض وقال برقة :

- حبيبتى ، هل سألت نفسك قبل ذلك لماذا تركك أبوك أنت وأمك ؟

كانت تستطيع وتريد الإجابة على هذا السؤال ، فقالت :

- لقد فعل ذلك لأنه لا يحبنا .

وحينما نظر إليها مرة ثانية ، كانت عيناه مبللتين بالدموع ، ولم تكن تعلم بعد أن العيون الدامعة يمكن أن تكذب بشكل مؤثر .

قال لو بيرس : لقد أحبكم جميعا ، ولكن والدتك ، التى كانت سيدة رائعة - ملاكا ، لم تكن تسمح لوالدك بالحياة الطبيعية معها ، وأنا أؤكد لك أنه ابتهل إلى الله ولكن الرجل لم يخلق هكذا ، وحتى إذا كان هذا يؤثر عليه ، أعتقد أننى أتكلم بناء على خبرة شخصية .

وفى سن الثامنة والثلاثين ، اكتسب دى آن ثروة من التجارب ، ولكنها لا تستخدم أبدا عبارة (تجربة شخصية) ، وهى تلاحظ أن الرجال يسرعون فى استعمال هذه العبارة أكثر من النساء ، ربما لأن الرجال تجاربهم شخصية أكثر من أى أحد آخر، أو ربما لأنهم يأخذون كل شىء على محمل شخصى .

قال تشاكى لستثيا فى يوم سابق وهما على مائدة العشاء بعد أن انتهى الأمر إلى الترتيب التاسع فى أحد الانتخابات :

إن تجربتى الشخصية توضح أن الانتحابات لا تعنى شيئا أكثر من أن تنال شعبية واسعة ، ولن أدع أى نتيجة انتخابات تشغل بالى أكثر من دقيقتين .

لم تستطع دى آن أن تمنع نفسها من القول :

- هل كانت لك تجربة شخصية فى الانتخابات ؟

وضع الشوكة جانبا ، ونظرا إلى بعضهما من فوق طبق الاسباجيتى ، مسحت سنثيا فمها بالفوطة ، ووقفت ، وكانت تستطيع أن تكتشف العواصف قبل وقوعها ، وقالت :

- عن إذنكم .

أبقى تشاكى فمه مغلقا حتى غادرت الحجرة وقال :

- نعم ، كانت لى تجربة شخصية فى الانتخابات .

- قالت دى آن : ما الذى كان شخصيا فى هذه التجربة ؟

- قال : حدث ذلك لى مرة ، وصوت لصالحك ، كنت

مرتبطا عاطفيا بك حينئذ . لم تستجوبه عن استخدامه لكلمة حينئذ ، فقد كانت تعرف تماما السبب فى استعماله لها ، وقالت :

- وحينما لم أفز ، هل كان الأمر عاطفيا ؟

- شعرت بالضيق من أجلك .

- ولكن ليس تقريبا بنفس قوة الضيق بالنسبة لنفسك ؟

- ولماذا أشعر بالضيق من أجل نفسى بحق الجحيم ؟

- أن تصادق فتاة لا تستطيع أن تنال شعبية واسعة ، أليس ذلك صعبا بالنسبة لك ؟ ألا تأخذ هذا الأمر على محمل شخصى ؟

لم يجب ، ولكنه جلس ينظر إليها من طبق الاسباجتى وكانت عيناه متصلبتين كالأحجار الرملية .

تمشى سنثيا من المدرسة للبيت ، وفى السنتين الأخيرتين كانت دى آن تمر عليها بالسيارة حينما تكون فى طريق العودة من المدينة فى رحلة التسوق أو فى زيارة للمكتبة ، كانت سنثيا تندفع للأمام وهى تمشى ، وحقيبتها الكانفاه مدلاة على كتفها الأيمن ، وكانت عيناها تفحصان الطريق كما لو كانت تحاول أن تشخص كل شىء على الرصيف ، ربما تفكر فى صديقتها ، أو ربما تفكر فى شىء من النميمة التى سمعتها اليوم فى المدرسة ، أو ربما كانت تحاول أن تتذكر ما إذا كان الرئيس الرابع هو چيمس

ماديسون أم چيمس مونرو ؟ ولكن محاولتها للتركيز وحملقتها إلى أسفل يقولان إنها كانت تعانى من مشكلة ما ، ومهما كان الأمر ، فإن دى آن لا تعرف مشكلتها ؛ لأن ابنتها لم تذكر لها أبدا أنها تعانى من مشكلة ما ، ولكنها كانت تقترب منها بالسيارة حينما تراها سائرة إلى البيت ، وتوقف السيارة بجوارها وتخفض الزجاج وتقول : هل تريدين توصيلة ؟ وكانت سنثيا تنظر إلى أعلى دائما وتبتسم ، كانت دائما تقول : نعم ، لم تقل لا ولا مرة واحدة قط ، مثلما فعلت دى آن مع ثلاثة أشخاص مختلفين فى ذلك اليوم منذ عشرين سنة ، حينما سارت كل المسافة من الطريق السريع إلى قاعة المحكمة ، وتسلقت الدرجات الأمامية ، ووقفت تحملق فى الباب القوطى الثقيل لعدة ثوان قبل الدخول .

ازداد وزن أبيها ، واستدارت وجنتاه ، وامتلأت يداه باللحم ، وهو لا يمارس أية ألعاب رياضية يمكن أن يتكلم عنها ، ولكنه يخبرها عن ليلى الثلاثاء والأربعاء وعن السجناء الذين يريدون الاحتفاظ برشاقتهم ، فإنه مسموح لهم بالخروج من زنزاناتهم ، واحدا فى كل مرة ، ليصعدوا السلالم وينزلوا لمسافة ثلاثة طوابق ولمدة عشرة دقائق لكل واحد ، ويقول أن جنديًا يجلس فى ممر المحكمة ومعه بندقية ليتأكد أن السجناء قد كفوا عن أداء التمرين .

كان والدها على حافة السرير ، ويلبس بنطلونا أزرق وقميصا ، وعلى جانب القميص قطعة مكتوب عليها (سجن ولاية لورنج) وكان يرتدى حذاء يشبه شبشب حجرة النوم .

خرج چيم هويلر من مكتبه حينما سمعها تتحدث مع السجان فى أسفل الردهة ، وسألها الشريف عن أحوالها بينما الحارس يبحث عن المفتاح ، قالت : فى حال طيب ، كما أعتقد .

قال : ربما تظنين أننى أكذب ياحبيبتى ، ولكن سوف يأتى وقت تنظرين فيه إلى ما يمر بك الآن على أنه حلم سيئ وردئ .

وقد أحست بالفعل بأنها فى حلم ردئ على كرسى بلاستيك صلب وتنظر إلى والدها ، كان يبتسم لها ، ينتظر أن تقول شيئا ، ولكن لسانها التصق بسقف فمها ، كان السجن مكيفا ، ولكن الزنزانة كانت حارة ، والرائحة رديئة ، وكان الحمام فى الركن بدون غطاء ، وتعجبت كيف يستطيع إنسان - بحق الله - أن يأكل فى مكان كهذا ، وما نوع الشخص الذى يمكنه بالفعل أن يأكل شيئا كافيا لكى يسمن .

قال أبوها كما لو كان يعرف فى أى شىء تفكر !

- ربما تفكرين فى كيف يمكننى أن أتحمل كل هذا .

لم تجب ، فاستمر قائلا : أنا أتحمل ذلك لأننى أعرف أننى أستحق ذلك .

جلس لبرهة ، ثم قام من على السرير وتحرك إلى النافذة التى كان بها ثلاثة قضبان ، ووقف ينظر إلى الخارج ، وأخيرا قال : كنت أدخل وأخرج طوال حياتى فى هذه المبانى هناك ، ولم أسأل نفسى مرة واحدة كيف تبدو من فوق ، والآن عرفت ، يوجد نفايات فوق السطوح ، وخراء الطيور ، وفى يوم رأيت رجلا يجلس هناك ، يشرب من علبة ورقية ، تماما فوق محل الجواهرجى .

واستدار بعد ذلك ، ومشى إليها ، ووضع يده على كتفها ، وقال : حينما كنت هناك بالأسفل ، أعدو كدجاجة مقطوعة الرأس ، لم أعط نفسى أبدا وقتا للتفكير ، وهذا شىء حصلت على الكثير منه هنا ، ويمكننى أن أخبرك أن هناك أشياء لم أكن أراها جيدا حينئذ ، وكانت يده على كتفها طوال وقت الكلام ، وأضاف : فى الأسابيع القليلة الماضية ، سألت نفسى عن شعورك عندما قلت لك إننى مشغول جدا ولا أجد الوقت لألعب معك ، وعن شعورك فى كل مرة كنت تذهبين إلى المسرح وحدك وأنت ترين كل هؤلاء الفتيات اللائى يقفن صفوفا مع آبائهن ويمسكون أيديهن ، وقال إنه يرى كل الوسائل التى جعلته يخسرهما معا - هى وأمها - ويعرف أنهما كانا يدركان ذلك منذ مدة طويلة مضت ، وإنه يتمنى من الله أن لايكون قد فعل ذلك ، سحب يده من فوق كتفها ، وعاد إلى سريره ، وجلس ، كانت

تراقبه وقد بدأت عيناه تلمعان ، وكانت تدرك أنها أمام رجل قادر على كل شيء ، ولأول مرة تعرف الإجابة عن السؤال الذى طالما حيرها : لماذا صبرت أمها على الحياة معه هذه المدة الطويلة ؟ والإجابة هى أن والدها ممثل بطبيعته ، وأمها هى جمهوره الطبيعى ، كانت أمها تعيش على هذا النظام ، لقد كانت تراقبه حتى قضت عليه المراقبة ، نظر الأب إلى ابنته بعيون دامعة ، هنا فى هذه الحجرة النتنة فى محكمة المقاطعة ، همس قائلا : حبيبتى ، أنت لا تظنين أننى قتلتها ، أليس كذلك ؟

عقدت العزم على أنها حينما سوف ترد عليه ، فإن صوتها سوف يكون ثابتا ، لن يتكسر أو يبدو مشروخا ، لن تبدى عاطفة زائدة أكثر مما لو كانت تجيب على سؤال وجهه إليها مدرس التاريخ ، فقلت : لا ، يا سيدى ، أنا لا أظن إنك قتلتها ، أنا أعرف أنك قتلتها .

فى هذه اللحظة بدأ ثقل حياته يسحقها .

الساعة العاشرة والنصف فى ليلة سبت عام ١٩٩٧ م ، وهى تقف وحيدة فى زقاق خارج محكمة لورنج ، إنه نفس الزقاق حيث التقاط صورة أبيها مع چيم هويلر ومساعده منذ سنوات مضت ، وما زالت مدينة لورنج كما هى منذ ذلك الحين ، ما عدا كثرة العصابات وإطلاق النيران التى تسمعها طوال الليل ، وليس ليلة السبت فقط ، الآن الناس يقتلون الأشخاص الذين لا يعرفونهم .

كان تشاكى فى معسكر لصيد الغزلان مع رجال لم يلتق بهم من قبل ، قال لها إنه تعرف عليهم فى محل بيع أدوات الرياضة فى جرينفل ، وكلهم بدأوا بالكلام عن صيد الغزلان ، وأخبره واحد منهم أنه يمتلك كابينة بعد المرتفعات واقترح على تشاكى أن يذهب معهم للصيد هذا العام .

كانت سينثيا فى الخارج مع أصدقائها ، ربما تكون فى السينما ، أو ربما تكون مع أحد منهم على المقعد الخلفى فى سيارته، فأين تكون ؟ تدعو دى آن أن تكون مستمتعة بوقتها ، وتأمل أن تكون سينثيا مستغرقة تماما فيما تفعل ، وأن لا تأتى لتجد أمها هنا ، تقف وحيدة فى الزقاق بجوار مبنى المحكمة ، تحملق فى الظلام كما لو كانت تأمل فى قراءة النجوم .

تذكرها الحجرة بالفصل الدراسى فى يوم الأحد ، إنها فى الطابق الثانى من المحكمة ، تطل على الزقاق ، وتوجد مائدة خشبية طويلة فى منتصف الحجرة وهى تجلس عند نهايتها على كرسى مستقيم الظهر ، وعلى كلا الجانبين وعلى كراسى مشابهة يجلس خمسة عشر رجلا وامرأة الذين يمثلون هيئة المحلفين ، كانت تعرف العديد من الوجوه ، وثلاثة أو أربعة أسماء ، ويبدو أن كل واحد منهم كان يتناول فنجانا من القهوة .

وعند الطرف الآخر من المائدة ، جلس بارى لانكستر - المدعى العام - وأمامه ملف مفتوح ، وهو رجل سوف ترى

اسمه فى الجرائد لمدة عشرين سنة قادمة ، كان فوق الثلاثين بقليل ، كان يرتدى حلة سوداء وقميصا لامعا أبيض ، وربطة عنق سوداء .

كان بارى لانكستر يتمتع بسمعة أنه متشرد فى مواجهة الجرائم ، وسوف يستخدم هذه السمعة للوصول إلى مكتب المدعى العام لولاية مسيسيبى ، ثم إلى المحكمة الفدرالية العليا ، حينما جاء لزيارتها منذ أعوام قليلة مضت ، كانت سمعته هى كل ما يحصل عليه ، وبعد أن استخدم بعض العبارات دون أن يكلف نفسه عناء شرح ما كانت تعنيه بالضبط ،قال : إننى أخاطر بسمعتى فى هذه القضية ، وهذه القضية تتوقف عليك .

كانت تعلم مدى توقف هذه القضية عليها ، وهذا شىء أكثر بكثير من سمعته ، وكانت تشعر بالحمل الثقيل الملقى على عاتقها ، تصلبت رقبتها ، وثقلت رجلاها ، ولم تنم الليلة الماضية ، ولم تعد تنام نوما حقيقيا .

قال بارى لانكستر : والآن يا دى آن ، نحن جميعا نعلم الحالة التى مررت بها مؤخرا ، ولكننى فى حاجة لأن أسألك بعض الأسئلة حتى يستمع هؤلاء السادة إلى إجاباتك ، هل سيكون هذا على ما يرام ؟

أرادت أن تقول إن لا شىء على ما يرام ، وإن لا شىء سوف يكون على ما يرام ، ولكنها أومأت برأسها ، سألها عن

عمرها ، أجابت : ثمانية عشرة . سألها عن الصف الدراسى الذى تدرس فيه ، قالت : أنا فى سنة التخرج من المدرسة العليا ، سألها هل لها أو ليس لها صديق يدعى تشاكى نيملز ، قالت : نعم يا سيدى ، سألها ما إذا كانت رأت صديقها هذا مساء السبت الثانى من أغسطس ، قالت : نعم يا سيدى ، رفع بارى لانكستر عينيه من كومة الأوراق وابتسم لها وقال :

– إذا كنت أنا صديقك ، كنت سوف أريك أن أراك كل ليلة .

عبس بعض الرجال من المحلفين ، أما النساء فقد بقيت وجوههن بلا تأثير ، وكانت بينهن امرأة صغيرة حمراء الشعر ذات نمش كثير ، والتى لم تكن تعرف اسمها ، ولن تعرفه أبدا ، سوف تقابلها فى محل بعد سنوات كثيرة ، وسوف تلمس يد دى آن وتقول:

– اتمنى أن تكون بقية حياتك أكثر سهولة يا عزيزتى ، لا بد أن التجربة التى مررت بها كانت مريرة جدا .

أخذها بارى لا نكستر إلى ليلة السبت ، منذ ذلك الوقت الذى اصطحبها فيه تشاكى حتى لحظة دخولها المطبخ ، ثم سألها فى صوت حزين عما وجدت هناك .

كانت عيناها معلقتين على دبوس ربطة عنقه ، كما وصفت المشهد بالتفاصيل بقدر ما أمكنها ذلك ، ولقد صدم كلامها هذا

لجنة المحلفين ، بل إنه روعهم وأكثر ما روعهم كان خلوها من العاطفة، وحاول تشاكى أن يخفف من رد فعلهم وأن يخبرها إنهم يقولون ذلك بسبب ما تعرضت له بعد ذلك قائلا :

- من المحتمل أنك تبالغين ، وربما تأخر إدراكهم لطبيعة الحادث .

بينما كانت تجلس هنا على كرسى صلب فى حجرة صغيرة، كانت تفتقر على الإدراك المناسب لطبيعة ما حدث ويداها ترقدان أمامها على مائدة مليئة بالخدوش ، ولا تستطيع أن ترى ذرة من العقل فيما يحدث ، كانت تعرف كيف كان أبوها وكانت تعرف كيف لم يكن ، كانت تعرف ما فعل ، وما لم يفعل ، وما لم تعرفه هو سلسلة من الأسئلة التى تبدأ بكلمة لماذا وأين .

ومن الناحية الأخرى ، كانت تعرف ما سيحدث ، وتعرف أيضا السبب ، وعلى سبيل المثال ، ما هو السؤال التالى ، وكانت تعرف كيف ستجيب عليه ولماذا ، وكانت تعرف ما سيحدث بعد أن تدلى بشهادتها تلك ، كانت تعرف أن بارى لانكستر سوف يصرفها، وكانت تعرف - لأن ليو بيرس أخبرها - أنه بعد انصرافها سوف يتوجه بارى لانكستر على هيئة المحلفين ، سوف يقول لهم عما سمعوا وما لم يسمعوا ، سوف يقول :

- الآن ، هذه فتاة صغيرة ، مرت خلال محنة قاسية ، وفى

النهاية ، فإن ما ستقوله لنا هو الذى سوف يحسم هذه القضية ، والحقيقة ، أيها السادة والسيدات ، لقد أخبرت الشريف بتفاصيل ما حدث فى محل البقالة ليلة السبت حينما جاء أبوها لزيارتها ، وهى تجلس هنا اليوم لتخبركم برواية مختلفة ، لقد اختلطت عليها الأمور تماما فيما يخص مسألة تحديد الوقت ، ولا يمكنكم أن تلوموها على ذلك ، إنها صغيرة وعقلها مشوش ، ولكن بكل أمانة فإن المحامى الجيد يمكن أن يفند هذه القضية تماما ، لأنكم إذا تغاضيتم عن إفادة هذه الفتاة وبينما هى الشاهدة ، فإن ما يتبقى هو الكلب ، وهذا الكلب - أيها السيدات والسادة - لا يمكن له أن يدلى بشاهدته .

وبينما هى تجلس هنا ، تنتظر بارى لانكستر وهو يستحضر تلك الليلة فى محل البقالة - هذه الليلة سوف تظل بالنسبة لها حاضرا دائما - كانت تعرف أن تحديد وضع الكلب هو الذى سوف يحكم عليچيم هويلر بهزيمة نوفمبر ، فالناخبون فى هذه المقاطعة سوف يلفون هذا الحكم حول رقبة الشريف ، وسوف يقول بعضهم البعض كيف أن أحدا ما رأى والد هذه الفتاة فى مطار چاكسون ، حينما استقل طائرة إلى دالاس ، حيث يمكنه أن يستقل طائرة أخرى إلى اتجاه أبعد للجنوب ، وسوف يقولون عنه كان يحمل حقيبة مليئة بالنقود ، الكثير من ورق المائة الأخضر ، وأخرج واحدة منها ليدفع ثمن البيرة ، وسوف

يقولون لا بد أنه دفع لها ثمنا لكى تكذب ، وكيف أنها لا تلقى بالا لأمها ، وسوف يتعجبون إذا ما كان تشاكى يتمتع بوجود عقل فى رأسه ليتزوج فتاة مثلها ، وسوف يسألون أنفسهم كيف يمكنها أن تتحمل عار ما فعلت ، ولن يصدقوا ولو للحظة واحدة ، أنها خططت لكل ما حدث ، وأن كل هذا العار سوف لا يزال أكثر فداحة من حياة والدها ، وسوف تمضى فترة قبل أن تدرك أنها هى وتشاكى وفتاة لم تولد بعد كم ستكلفها هذه الغلطة .

بارى لانكستر يصنع عرضا باهرا من أوراقه ، فهو يجذب ورقة وينظر إليها بإمعان ، ويجعد ملامح وجهه كما لو كان يرى شيئا لم يره من قبل ، ثم يضع الورقة أمامه ، ويغلق الملف ، ويدفع كرسيه بعيدا عن المائدة بضع بوصات ، ويتكئ إلى الأمام ، شعرت بالسرور أنه أصبح بعيدا ولا يستطيع أن يضع يده على ركبتها ، ويقول : والآن ، دعينا نرجع فى الزمن إلى الوراء .

* * *

الفهرست

• پام هيوستون :

فازت بجائزة الولايات الغربية للكتاب عن مجموعتها (رعاة البقر نقطة ضعفى) عام ١٩٩٣ م .
نشرت لها مجموعة (فالس القطة) عام ١٩٩٨ م .
صدر لها أول مجموعة مقالات بعنوان (أشياء قليلة عنى) فى خريف ١٩٩٩ م .
تعيش فى ولاية كلورادو على ارتفاع تسعة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر .

• أليس مونرو

- فازت مرتين بجائزة الحاكم الكندى العام
- لها تسع مجموعات من القصص القصيرة ، منها :
(من تظن نفسـك ؟) ، (أقمـار چوبيتر) ، (أسـرارعلنية) ، (تقدم الحب) ثم (مختارات من أعمال أليس مونرو) ، و (حب امرأة طيبة) والتى فازت بجائزة دائرة النقاد القومية عام ١٩٩٨ م .
- اختيرت إحدى قصصها فى مختارات چون إبدايك والتى تحمل عنوان (أحسن القصص القصيرة فى القرن العشرين) .

• **چومبا لاهيرى :**

ولدت فى لندن ، ونشأت وتربت فى رود آيلاند Rhode Island من أبوين بنغاليين ، نشرت قصصها فى العديد من المجلات المتخصصة الأمريكية ، من بينها : النيويوركر New Yorker، فازت بجائزة بولتيزر عام ٢٠٠٠ م عن قصتها « مفسر الآلام » للكتاب الأول ، كما فازت بجائزة هيمنجواى ، وهى تعيش الآن فى مدينة نيويورك

• **ريك باز** Rick Bass

صدر له خمسة عشر كتابا أغلبها يتضمن قصصا قصيرة ، ومن بينها رواية بعنوان « حيث يوجد البحر Where The Sea Used To Be » ، يعيش فى الشمال الغربى من ولاية مونتانا الأمريكية ، متزوج وله ابنة .

• **ستيف ياربرو**

- يعيش فى فرسنو بكاليفورنيا .
- يعمل أستاذا للغة الإنجليزية فى جامعة ولاية كاليفورنيا .
- صدر له عدد من المجموعات القصصية منها :
- تاريخ المسيسبى .

- رجال العائلة .
- مظهر خادع .
- صدرت له رواية رجل الأكسجين عام ١٩٩٩ م ، وتم تحويلها إلى فيلم سينمائى قام هو بكتابة السيناريو له .

حصل على بعض الجوائز الأدبية منها جائزة الصندوق القومى للفنون والآداب .

• فاسيلى شوكشين

Vasili shukshin

كاتب قصة وسيناريست ومخرج سينمائى
نشأ وتربى فى إحدى القرى الروسية ، حيث ولد عام ١٩٢٩م ، وعاش خمسة وأربعين عاما فقط ؛ فقد توفى عام ١٩٧٤م . وقد كانت نشأته فى بيئة شديدة الفقر ؛ عمل والده بالزراعة ، لجأ إلى العمل فى سن الرابعة عشرة ليعول نفسه ، ثم التحق بالبحرية ، وبعد ذلك التحق بمعهد الدراسات السينمائية لدراسة الإخراج عام ١٩٥٤ م . وهناك تعرف على ميخائيل اليتش روم Mikail Ilich Room الذى اكتشف قدرته على الكتابة فقدم له نصائح غالية .

حصل عام ١٩٧٦ م ، على أعلى جائزة أدبية فى الاتحاد السوفيتى (آنذاك) وهى جائزة لينين للفنون والآداب . وقد

صدرت له المجموعات القصصية التالية : رجال من روح واحدة ، شخصيات ، مناقشات تحت القمر الساطع .
كما صدرت له الروايات الآتية :
ناس من ليوباڤيا ، لقد أتيت لإحضارك أيتها الحرية .
أما فى مجال الإخراج السينمائى ، فقد مثل إنتاجه مدرسة متميزة فى السينما السوڤيتية . حصل فيلمه الأول (مثل هذا الشاب) على جائزة الأسد الذهبى فى معرض ڤينيسيا الدولى للسينما . كما حصل فيلمه الثانى (ابنك وأخوه) على جائزة الجمهوريات الروسية الاتحادية السوڤييتية . أما فيلم (شجرة الثلج الحمراء) فقد أصبح علامة على مدرسته فى السينما .

* * *

المترجم

مفرح كريم

- كاتب وشاعر ومترجم مصرى من مواليد ١٩٤٤
- ينشر بشكل منتظم فى الصحافة الثقافية فى مصر والعالم العربى .
- من مجموعاته الشعرية « بوح العاشق » و« احتمالات » و« الأسماء تخلع مسمياتها » .

صدر من آفاق عالمية

١ - تنبؤات

شعر : بيفر / زجراجن
ترجمة : د. يسرى خميس
يوليو ٢٠٠١

٢ - اعتراف منتصف الليل

رواية : چورج ديهامل
تعريب : د. شكرى عياد
أغسطس ٢٠٠١

٣ - الزيتونة والسنديانة

نصوص شعرية مترجمة ودراسة عن الشاعر :
عادل قرشولى
د. عبد الغفار مكاوى
سبتمبر ٢٠٠١

٤ - بلبل واحد لا يصنع ربيعا
مختارات من القصة العالمية
ترجمة د. حمادة إبراهيم
أكتوبر ٢٠٠١

٥ - شراك القدر
مسرحية : أنطونيو بوريو بييخو
ترجمة : د. طلعت شاهين
نوفمبر ٢٠٠١

٦ - الأرض الخراب وقصائد أخرى
شعر : ت . س . إليوت
ترجمة : د. لويس عوض
تقديم : د. ماهر شفيق فريد
ديسمبر ٢٠٠١

٧ - فى البحث عن ڤاليرى
تأليف : ليج مايكلز
ترجمة : مى رفعت سلطان
يناير ٢٠٠٢

٨ - زديج أو القضاء (قصة شرقية)
تأليف : ڤولتير
ترجمة : د. طه حسين
تقديم : نبيل فرج
فبراير ٢٠٠٢

٩ - قصائد امرأة سوداء بدينة
شعر : جريس نيكولز
ترجمة : نانسى سمير
مارس ٢٠٠٢

١٠ - عاشق من مونت كارلو (مختارات قصصية)
تعريب وتقديم : عبد القادر حميدة
أبريل ٢٠٠٢

١١ - الحب والأسى (مسرحية صينية)
تأليف : (باى فنجكس)
ترجمة وتقديم : سمير عبد ربه
مايو ٢٠٠٢

١٢ - ذلك العالم المدهش

(حوارات مع كتاب عالميين)
ترجمة وتقديم : حسين عيد
يونيو ٢٠٠٢

١٣ - شعر السبعينيات فى إسبانيا (دراسة ومختارات مترجمة)

د. حامد أبو أحمد
يوليو ٢٠٠٢

١٤ - المسرح الهندى (التراث والتواصل والتغير)

تأليف : د. نيميتشاندا جين
ترجمة : د. مصطفى يوسف منصور
مراجعة : أ.د. منى أبو سنة
أغسطس ٢٠٠٢

١٥ - مختارات من روائع المسرح العالمى

ترجمة وتقديم د. نعيم عطية

١٦ - الأغنية الأخيرة

مختارات من الشعر الصينى

تأليف : تشانج شيانج - هو

ترجمة : زكريا محمد

رقم الإيداع ٣٥٩٤ /٢٠٠٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 305 - 376 - 8



المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
☎ : ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤
e-mail : pic@6oct.ie-eg.com

آفاق
عالمية

افضل صديقاتى

مختارات من القصة العالمية القصيرة على بوابة القرن

« .. تضم هذه المجموعة ست قصص قصيرة ، ترجمها عن اللغة الإنجليزية « مفرح كريم » ، يتناول أصحابها مواقف إنسانية وحياتية مختلفة ، ويتبدى فيها تطور مفهوم الكتابة القصصية وتقنياتها .. » .



الثمن: جنيهان

الشركة الدولية للطباعة